

قضايا تفسيرية في كتابات  
**الدكتور محمد عبده يمانى**  
رحمه الله



إعداد

**د. إبراهيم محمد إبراهيم حسنين**

مدرس التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق - جامعة الأزهر

الجزء الثاني



**قضايا تفسيرية**  
**في كتابات الدكتور محمد عبده يماني**  
**رحمه الله**  
**(الجزء الثاني)**

**إعداد**

**د. إبراهيم محمد إبراهيم حسانين**  
**مدرس التفسير وعلوم القرآن**  
**كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق جامعة الأزهر**



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق  
وسيد العالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد أمرنا الله تعالى بتلاوة القرآن وحث على تدبره واستخراج  
هداياته، قال الله تعالى: (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته  
وليتذكر ألوا الألباب) [ص: ٢٩]، فشرع العلماء بالبحث والنظر في  
الآيات مستخرجين منها الدواء لأمراض المجتمع والعلاج الناجع  
لمشكلاته على مختلف العصور، فامتدت صلتهم بكتاب الله دراسة  
وتدبرا، ومن هؤلاء العلماء الكبار في العصر الحديث الدكتور محمد  
عبده يماني رحمه الله، وزير الثقافة والإعلام السعودي السابق،  
(ولد ١٩٤٠ - وتوفي ٨ نوفمبر ٢٠١٠م)، وهو من الشخصيات  
الإسلامية الناشطة في الحقل الدعوي، كان من المهتمين بقضية  
تبسيط وتيسير الدين لأبناء المسلمين وبالأخص السيرة النبوية،  
واهتم بمعالجة المسائل المختلفة من منظور قرآني ونبوي، فيهتم  
بالرجوع إلى كتب التفسير والسنة والسيرة، وقد أعد الدكتور محمد  
عبده يماني خمسا وثلاثين مؤلفاً - بعضها باللغة الإنجليزية - تناول  
من خلالها مواضيع علمية ودينية وثقافية مختلفة، وفي ثناياها

تعرض لآيات القرآن الكريم مبرزاً ما فيها من علاج لمشكلات وقضايا عاشها وأعمل عقله للوصول لعلاجها حريصاً على أن يأخذ بأيدي الأمة بجميع أطرافها لينهلوا من معين هذا الكتاب الذي لا تنفذ خزائنه، فكان فتح الله عليه ومدده ومعونته له، ولم لا والقرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم.

"إن ما يواجهه المسلمون في هذا العصر من مشكلات وتحديات ومتاهات توجب إعادة النظر في كثير من المسائل على ضوء القرآن الكريم وعلى أساس علمي يخاطب عقول الناس".

"إن شباب اليوم يريد تفسيراً لما جد في حياتهم المعاصرة، لأنهم يواجهون نوعاً جديداً من المشكلات المعقدة، ولا يتجرأ أن يسأل عنها خشية أن يتهم بالتحلل والفسق والفجور وعظائم الأمور، ولذلك فهو يصمت ويكبت جماح نفسه وعواطفه، وفي ذلك خطر كبير على إسلام مثل هؤلاء الشباب" (١).

من هنا جاءت فكرة استقراء مؤلفات المرحوم د. محمد عبده يماني واستخراج الموضوعات القرآنية التي تناولها في كتاباته والربط بينها لتخرج في ثوب قشيب، بهدف إبراز جهوده القرآنية، على أمل

(١) المعادلة الحرجة في حياة الأمة الإسلامية د. محمد عبده يماني ص ٤٥

أن نبرز للقارئ الكريم صورة حية لهذا النموذج الذي عاش في خدمة الإسلام وكتابه العظيم إلى أن خرجت روحه إلى بارئها وهو يحرص على نشره وتعليمه.

وهذا هو الجزء الثاني من هذا الكتاب، وقد سبقه جزء تناول موضوعات مختلفة متعلقة بقضايا مجتمعية وتصحيح المفاهيم ومقومات نهضة الإنسان، بالإضافة إلى صور من الاتجاهات المنحرفة في التفسير.

أسأل الله تعالى التوفيق والسداد، فهو الهادي والموفق لكل

خير.

## الفصل الأول: قصة آدم عليه السلام

## المبحث الأول: أول من سكن الأرض من المخلوقات

وردت رواياتٌ عديدةٌ في كتب التاريخ والتفسير حول أول من سكن الأرض، وتعددت أقوال العلماء في ذلك.

القول الأول: أن أول من سكن الأرض هم الجنُّ والِبِنُّ، وأضاف هذا القول ابن كثير في كتابه البداية والنهاية، لكثير من علماء التفسير، حيث يقول: "قال كثير من علماء التفسير: خلقت الجن قبل آدم عليه السلام، وكان قبلهم في الأرض الحن والبن، فسلط الله الجن عليهم فقتلوهم، وأجلوهم عنها وأبادوهم منها، وسكنوها بعدهم بسبب ما أحدثوا" (١)، وكان الجن وقتها صالحين قائمين بأمر الله - تعالى - قبل معصية إبليس لله تعالى.

القول الثاني: أن الجن هم أول من سكن الأرض، ذكر ابن جرير الطبري في تفسيره لقوله تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) [البقرة: ٣٠]، أن أول من سكن الأرض هم الجن، فلما أفسدوا في الأرض وقتل بعضهم بعضًا؛ أرسل الله تعالى إليهم إبليس - وكان حينها مؤمنًا طائعًا لله تعالى -، فقتل الجن على الأرض، وذلك قبل خلق آدم عليه السلام ونزوله إلى الأرض.

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، (١/١٢٨) بتصرف.

فقد أخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أول من سكن الأرض الجن، فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا. قال: فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال. فلما فعل إبليس ذلك اغتر في نفسه، وقال: "قد صنعت شيئا لم يصنعه أحد!" قال: فاطلع الله على ذلك من قلبه، ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه. فقال الله للملائكة الذين معه: "إني جاعل في الأرض خليفة"، فقالت الملائكة مجيبين له: "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" كما أفسدت الجن وسفكت الدماء، وإنما بعثنا عليهم لذلك. فقال: "إني أعلم ما لا تعلمون"، يقول: إني قد اطلعت من قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه، من كبره واغتراره (١).

القول الثالث: أن آدم عليه السلام أول من سكن الأرض، حيث تشير أرجح روايات المفسرين وأقوال العلماء إلى أن سيدنا آدم عليه السلام وزوجه حواء، هما أول من سكن الأرض؛ وذلك بعد أن أغواهما إبليس بالأكل من الشجرة التي حرم الله عليهما الأكل منها فأنزلهما الله إلى الأرض، فقال الله تعالى بعد أن طلبا المغفرة منه: (اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين\* قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) [الأعراف: ٢٣ - ٢٤] (٢).

(١) جامع البيان، ابن جرير الطبري (٤٥٥/١).

(٢) جامع البيان، ابن جرير الطبري (٤٥٠/١) بتصرف.

ويبرّر الطاهر بن عاشور هذا القول ويرجّحه بأنّ الله -تعالى- قال بأنّه سيجعل في الأرض خليفةً، والخليفة من البشر، وأوّل البشر آدم، ولو كان هناك أحدٌ سكن الأرض قبل آدم ﷺ وحواء؛ لما قال الله ﷻ: (إني جاعل في الأرض خليفة) [البقرة: ٣٠]، لأنّ الخليفة هو الذي يخلف صاحب الشيء في التصرف فيه، وآدم وبنوه هم خلفاء الله تعالى في أرضه، قال ابن عاشور: "تعقيبُ ذكرِ خلق الأرض ثم السماوات، بذكر إرادته تعالى جعل الخليفة، دليلٌ على أن جعل الخليفة كان أول الأحوال على الأرض بعد خلقها، فالخليفة هنا الذي يخلف صاحب الشيء في التصرف في مملوكاته، ولا يلزم أن يكون المخلوف مستقرّاً في المكان من قبل، فالخليفة آدم، وخَلَفِيَّتُهُ قيامه بتنفيذ مراد الله تعالى من تعمير الأرض بالإلهام أو بالوحي، وتلقين ذريته مراد الله تعالى من هذا العالم الأرضي" (١).

يتساءل د. محمد عبده يماني: هل كان هناك خلق قبل آدم ﷻ؟ ويجيب بأن "الأرض كانت بصريح القرآن معمورة بخلق قبل آدم ﷻ قطعاً، والملائكة سبقوا آدم في الخلق، وكذلك الجن وأمم غيرهم، فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء فأهلكهم الله وطردهم إلى الجزائر والجبال، (وَأَلْجَأَ خَلْقَنَا مِنْ قَبْلِ) [الحجر: ٢٧]، فخلق آدم ﷻ وسوّاه ونفخ فيه من روحه، وعلمه اللغات وعلمه أسماء المسميات في كافة اللغات، ولذا لما خاطب الله الملائكة؛ قال: (إني جاعل في الأرض خليفة) قالوا: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك)، قالوا ذلك مستفسرين

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، (١/٣٩٩).

عن الحكمة في هذا الخلق لا معترضين، فكان الجواب: (إني أعلم ما لا تعلمون) [البقرة: ٣٠]، فأدم هو أبو البشر، وأولهم خلقاً، وأسبقهم علماً، (وعلم آدم الأسماء كلها) [البقرة: ٣١] " (١).

وبعد إمعان فضيلته في النصوص القرآنية والنظر في كتب التفسير المعتبرة توصل إلى أن الأرض كانت معمورة قبل خلق آدم ﷺ.

(١) أجداد النبي، د. محمد عبده يماني ص ٨٣

## المبحث الثاني: الحكمة من سؤال الملائكة عن علة خلق آدم ﷺ

### بيان سبب قول الملائكة: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)

ذكر المفسرون أوجها في بيان قول الملائكة: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) [البقرة: ٣٠].

الوجه الأول: أن الملائكة قالت ذلك بعد إعلام الله تعالى لهم بطبيعة ذرية آدم ﷺ، وأنهم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، وهذا مروى عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة وابن جريج وابن زيد وغيرهم كما نقل ذلك القرطبي وابن كثير، فعن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما أن الله تعالى قال للملائكة: (إني جاعل في الأرض خليفة)، قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً. قال قتادة: كان الله أعلمهم أنه إذا كان في الأرض خلق أفسدوا فيها وسفكوا الدماء، فلذلك قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها (١).

الوجه الثاني: أنهم لما سمعوا لفظ (خليفة) فهموا أن في بني آدم من يفسد؛ إذ الخليفة المقصود منه: الإصلاح وترك الفساد،

(١) ينظر: جامع البيان (٤٥٣/١)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٠/٢)، وتفسير القرآن العظيم (٢٢٧/١).

والفصل بين الناس فيما يقع بينهم من المظالم ويردعهم عن المحارم والمآثم (١).

الوجه الثالث: ما نقله القرطبي رحمه الله وغيره أن الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من إفساد الجن وسفكهم الدماء، وذلك لأن الأرض كان فيها الجن قبل خلق آدم فأفسدوا وسفكوا الدماء فبعث الله إليهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، ثم خلق الله آدم فأسكنه إياها. وهذا مروى عن ابن عباس وأبي العالية (٢).

**الحكمة من سؤال الملائكة: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك)**

قول الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) ليس على وجه الاعتراض على الله تعالى، وإنما هو كما قال ابن كثير رحمه الله: سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك، يقولون: يا ربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء، فإن كان المراد عبادتك فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك، أي: نصلي لك، ولا يصدر منا شيء من ذلك، وهلا وقع الاقتصار علينا؟ قال الله تعالى مجيباً لهم عن هذا السؤال: (إني أعلم ما لا تعلمون) أي أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم، فإني سأجعل فيهم الأنبياء وأرسل فيهم

(١) تفسير القرآن العظيم (٢٢٩/١) بتصرف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٤/١)، وتفسير القرآن العظيم (٢٢٧/١).

الرسول، ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والأولياء والأبرار والمقربون والعلماء العاملون والخاشعون له والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم (١).

يورد د. محمد عبده يماني شبهة مثارة ويجب عنها، فيقول متسائلاً: "أما الموضوع المستخلص فهو: كيف يتنسى للملائكة أن تتساءل قائلة: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، وآدم لم يُخلق بعد، وبنوه لم يعمرُوا الأرض بعد، ولم يصدر منهم بطبيعة الحال ما يؤدي إلى الإفساد وسفك الدماء، هل سكن الأرض جنس بشري قبل آدم ﷺ أو كائنات حية أخرى غير الجنس البشري أفسدت في الأرض وسفكت الدماء، الأمر الذي جعل الملائكة تقيس على تصرفاتها.. أم أن هناك تأويلاً آخر لهذا التساؤل (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) [البقرة: ٣٠] (٢).

إذا رجعنا إلى أقوال المفسرين القدامى في هذا الصدد كالطبري والقرطبي وابن كثير عليهم رحمة الله، فإننا نستخلص منها ما يلي:

يقول ابن كثير: "قوله تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة) [البقرة: ٣٠] أي: قومًا يخلف بعضهم بعضاً، قرنا بعد قرن وجيلاً بعد جيل، كما قال تعالى: (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) [فاطر: ٣٩] وقال: (ويجعلكم خلفاء الأرض) [النمل: ٦٢]، ونقل

(١) تفسير ابن كثير (١/٢١٦).

(٢) أجداد النبي د. محمد عبده يماني (ص ٨٥).

القرطبي عن زيد بن علي: وليس المراد ها هنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط كما يقوله طائفة من المفسرين، وعزاه القرطبي إلى ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما وجميع أهل التأويل، وفي ذلك نظر، بل الخلاف في ذلك حكاه الرازي في تفسيره وغيره، والظاهر أنه لم يرد آدم عينا، إذ لو كان كذلك لما حُسِّن قول الملائكة: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) [البقرة: ٣٠]، فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك، وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص أو بما فهموه من الطبيعة البشرية فإنه أخبرهم أنه يخلق هذا الصنف من صلصال من حمأ مسنون، أو فهموا من "الخليفة" أنه الذي يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم ويردعهم عن المحارم والمآثم، قاله القرطبي، أو انهم قاسوهم على من سبق كما سنذكر من أقوال المفسرين في ذلك" (١). ثم يستطرد ابن كثير فيقول: "قوله تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة) يقول: ساكنا وعامرا يعمرها ويسكنها خلقا ليس منكم" (٢).

ويروي ابن جرير "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن أول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا، قال: فبعث الله فيهم إبليس، قتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، ثم خلق آدم فأسكنه إياها فلذلك قال: (إني جاعل في الأرض خليفة)" (٣).

١ ( تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/١٢٤).

٢ ( تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/١٢٥).

٣ ( أجداد النبي د. محمد عبده يماني (ص ٦٤)، وينظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري (٤٥٠/١)، مفاتيح الغيب (٢/١٥٢).

## النهي عن الأكل من الشجرة والرد على من قال بأن آدم طرد من الجنة لخطيئته:

يقول د. محمد عبده يماني: "كرم الله آدم ﷺ فخلقه بيده الكريمة، ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها، وأمر الملائكة بالسجود له، وأسكنه جنته هو وزوجه حواء، وقد نهى عن الأكل من شجرة فيها، فنسي النهي عندما أقسم لهما إبليس أنها شجرة الجلد، فأكلا منها، فعاتبهما ربهما، فاعتذرا، واستغفرا، وأنابا، فغفر الله لهما وتاب عليهما ولم يطردهما كإبليس من رحمته، وإنما كافأهما على توبتهما بأن أهبطهما إلى الأرض مستخلفين فيها تحقيقا لقوله: (إني جاعل في الأرض خليفة) [البقرة: ٣٠]، وإنما هبط إبليس ملعونا لأنه لم يتب من ذنبه، ولم يعتذر عن مخالفته أمر ربه له بالسجود لآدم استكبارا وعنادا" (١).

قد يظن البعض أن آدم قد خرج من الجنة عقوبة على معصيته، ولكنه أهبط للخلافة فقد انتهت فترة إعداده في جنة الإعداد وحن وقت هبوط الخلافة، ولم يفعل ذلك فحسب، بل أعطاه دليل النجاح في مهمة الخلافة بقوله: (فَإِذَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [البقرة: ٣٨]، وذلك للتأكيد أن ما هو قادم منفصل عن العقوبة كما يعتقد أهل الكتاب أن آدم خرج عقوبة على خطيئته وأنا قد ورثنا هذه الخطيئة، والحق أننا وجدنا في هذا الكون للخلافة، وشتان بين همة العبد الذي يرى نفسه موجودا في الدنيا عقوبة له على خطيئة لم

(١) أجداد النبي د. محمد عبده يماني (ص ٦٥).

يقترفها بل ورثها عن أبيه الأول، وبين عبد يعلم أن وظيفته في الدنيا هي الخلافة في الأرض بعبادة الله تعالى وحفظ الأمانة التي هي الطاعة لله رغم القدرة على المعصية.

إن ما وقع فيه آدم وحواء من المعصية كان سببه الشيطان، حيث وسوس لهما وأغواهما بالأكل من الشجرة، وأقسم لهما على أنهما إن أكلا من هذه الشجرة فسيكونان خالدين أو ملكين، قال الله تعالى: (فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِحِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) [الأعراف: ٢٠].

قال الإمام ابن كثير: "يقول: ما نهاكما عن الأكل من هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، أي: لو أكلتما منها لصرتما كذلك، (وَقَاسَمَهُمَا إِيَّيَّ لَكُمْ لِمَنِ النَّاصِحِينَ) [الأعراف: ٢١]. أي: حلف لهما على ذلك كما في الآية الأخرى: (فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى) [طه: ١٢٠] أي: هل أدلك على الشجرة التي إذا أكلت منها حصل لك الخلد فيما أنت فيه من النعيم، واستمرت في ملك لا يبيد ولا ينقضي؟ وهذا من التغرير والتزوير والإخبار بخلاف الواقع... الخ.<sup>(١)</sup>

وقد تاب آدم وحواء من الذنب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، قال تعالى: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [البقرة: ٣٧]، وقال سبحانه: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى

(١) قصص الأنبياء، ابن كثير (ص ١٩).

ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ [طه: ١٢١-١٢٢]، فما وقعا فيه من معصية لا يلامان عليه، لأنهما قد تابا منه.

ثم إننا لم نرث خطيئتهما ومعصيتهما بذاتها، بمعنى: أنه لا يلزم أن كل واحد منا يقع في مثل ما وقعا فيه، وإنما نخطف لأننا بشر غير معصومين، وأفضلنا هو من يبادر بالتوبة.

ولما حاجَّ موسى عليه السلام آدم عليه السلام ولامه على إخراجه نفسه وذريته من الجنة بسبب خطيئته، أجابه آدم عليه السلام بالحجة القاطعة الظاهرة التي تدفع اللوم عنه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "احتج آدم وموسى، فقال موسى: أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة، قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه ثم تلومني على أمر قد قدر علي قبل أن أخلق، فحج آدم موسى" (١)، ومعنى (فحج آدم موسى) أي: غلبه بالحجة وظهر عليه بها.

إن كل إنسان يحاسب على خطاياه هو، وليس على خطايا من سبقه، كما أنه يحاسب على إضلاله الآخرين ممن يأتون بعده إن كان سبباً في إضلالهم. قال تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) [المدثر: ٣٨]، وقال: (كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) [الطور: ٢١]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان

(١) صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب: وكلم الله موسى تكليماً (١٤٨/٩) رقم (٧٥١٥).

عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً" (١).

فما يدعيه المدعون من أن عيسى عليه السلام صلب تكفيراً لخطيئة آدم باطل؛ لأن عيسى عليه السلام ليس إلهاً ولا ابن إله، بل هو رسول كريم، ثم إنه لم يصلب ولم يقتل، بل رفع إلى السماء، كما قال الله تعالى: (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً \* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيمًا) [النساء: ١٥٧-١٥٨].

ثم إن آدم عليه السلام غير محتاج، ولم يكن محتاجاً يوماً إلى من يكفر له عن خطيئته، لأنه قد تاب منها.

وقد لخص د. محمد عبده يماني هذه الفرية ورد عليها بقوله: "وكذب الذين يزعمون أن آدم عليه السلام طرد لخطيئته، ونزل من الجنة بوزره، وأن أبناءه إلى الأبد يحملون وزره معهم؛ لأن الله تبارك وتعالى يقول: (ولا تزر وازرة وزر أخرى)، ولأن الله أخبر بأنه تاب عليه قبل أن يذكر أمر خروجه من الجنة، فكيف يعلن أنه تاب عليه ثم يعلن طرده عقوبة له: (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم. قلنا اهبطوا منها جميعاً) [البقرة: ٢٧-٢٨]

(١) صحيح مسلم، كتاب: العلم، باب: من دعا إلى هدى (٦٢/٨) رقم (٦٩٠١).

فهبوط آدم ﷺ هبوط استخلاف وهبوط إبليس هبوط طرد  
ولعن" (١).

١ ( أجداد النبي د. محمد عبده يماني (ص ٦٥).

## المبحث الثالث: خلق آدم ﷺ ومراحله:

لا شك أن آدم ﷺ هو أبو البشر جميعاً، وقد خلقه الله تعالى من العدم خلقاً مستقلاً في نوعه، لم يتخلق ذاتياً، ولم يخلق نفسه بنفسه، ولم تخلقه العناصر التي ركب منها، ولكن خلقه الله تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه، قال تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) [ص: ٧١، ٧٢].

وقد مرّت عملية خلق آدم ﷺ بمراحل متدرجة، وقد ذكرها الله تعالى في كتابه، وهي:

التراب، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ) [الحج: ٥].

وقد تم خلط التراب بالماء فصار طيناً، وهي المرحلة الثانية، قال تعالى (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ) [ص: ٧١].

ثم تحوّل الطين إلى المرحلة الثالثة، وهي: الحمأ المسنون، وهو الطين الأسود المنتن المتغيّر.

ثم المرحلة الرابعة، وهي: الصلصال، قال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) [الحجر: ٢٦]، والصلصال هو الحالة التي تشكّل منها آدم ﷺ، وتمت منه عملية التسوية.

يقول الإمام الفخر الرازي: والأقرب أنه تعالى خلقه أولاً من تراب، ثم من طين، ثم من حمأ مسنون، ثم من صلصال كالفخار (١)، ويقول رحمه الله: إن المادة البعيدة هو التراب، وأقرب منه الطين، وأقرب منه الحمأ المسنون، وأقرب منه الصلصال، فثبت أنه لا منافاة بين الكل (٢).

ثم المرحلة الخامسة: التسوية.

والمرحلة السادسة والأخيرة: النفخ، وبمجرد أن تمت عملية النفخ صار التراب إنساناً عاقلاً مفكراً، له قلب ينبض، وله مشاعر وأحاسيس، وله شهوات ونزعات، وله إرادة واختيار، ذا طبيعة مزدوجة: مادة من تراب الأرض، ونفخة من رُوح الله، يتدرج إلى أعلى درجات التقوى، أو يتدنى إلى أسفل دركات الفجور، فتجده يحب ويكره، يبكي ويضحك، يأكل ويشرب، ينام ويصحو، يمشي ويكدح، متغير الأطوار، تتجلى فيه عظمة الخالق سبحانه، وقدرته في الخلق والإنشاء، مَنْ يتأمل تكوينه وتركيبه يسجد عقله لخالقه جَلَّ جَلَالُهُ قائلاً: (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) [المؤمنون: ١٤].

هكذا تمت عملية خلق آدم عليه السلام، مع أن الله تعالى قادر أن يخلقه في لحظة أو جزء منها، أو بكلمة واحدة، ولكن الله تعالى يعلمنا الإعداد والترتيب والإحكام في كل شيء، فالتمام وبلوغ الكمال لا بد أن يتم على مراحل وخطوات متدرجة، وكذلك كان خلق الذرية.

(١) التفسير الكبير (١/٤١٤).

(٢) التفسير الكبير (١٣/٣٦٢).

والحكمة من خلق آدم عليه السلام من تراب، ثم من طين، ثم من حمأ مسنون، ثم من صلصال كالفخار يوضحها لنا الدكتور محمد محمود حجازي فيقول: "ولعل ذلك إشارة إلى ما ينطوي عليه الإنسان من غرائز وميول، فهو مخلوق حقاً من تراب، ولكن هذا التراب معه ماء؛ فصار طيناً لازباً، ثم صار حمأً مسنوناً أسوداً مُنتنًا، ثم صار صلصالاً كالفخار، تلك إشارات كلها لما فينا من غرائز متأصلة لزجة كالطين اللزب، وهذه الغرائز عند البعض تشتد وتقوى حتى تشبه الحمأ المسنون، وهو الطين الأسود المنتن، ثم نحن مع مغريات الحياة من مال وجاه ونساء كالصلصال والفخار، سهل الانكسار، والله يهدي مَنْ يشاء إلى صراط مستقيم، وأمرت الملائكة بالسجود تكريمًا وتعظيمًا، لحكمة الله في خلقنا وبديع صنعه فينا" (١).

يقول د. محمد عبده يماني: "وقد أورد ابن كثير في البداية والنهاية روايات كثيرة في خلق آدم منها: ما رواه أحمد بسنده إلى أبي موسى رضي الله عنه يقول: (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك والخبيث والطيب، والسهل، والحزن، وبين ذلك)" (٢).

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (لما نفخ في آدم فبلغ الروح رأسه عطس فقال: الحمد لله رب العالمين، فقال له تبارك وتعالى: يرحمك الله).. وفي الرواية الثانية: (لما خلق آدم

١ ( الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم د. محمد محمود حجازي (ص ١٤٤).

٢ ( البداية والنهاية (٨٥/١)، والحديث أخرجه الترمذي في كتاب: أبواب التفسير، باب: ومن سورة البقرة (٢٠٤/٥) برقم (٢٩٥٥) وقال: حديث حسن صحيح.

عطس، فقال: الحمد لله، فقال له ربه: رحمك ربك يا آدم) (١)، وبهذا نعلم أنه فطر مؤمنا، عالما، مبينا، كامل الحسن والخلق، عارفا بأن خالقه هو الله رب العالمين.

وروى أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما: (إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنشرها بين يديه ثم كلمهم قبلا قال: (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا على شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون) (٢).

في هذا الحديث يخبر النبي صلى الله عليه وسلم: أَنَّ اللَّهَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ وَالْعَهْدَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بْنِ نَعْمَانَ، وَهُوَ وَاِدٍ فِي مَكَّةَ فِي جَبَلِ التَّنْعِيمِ بَيْنَ جَبَلَيْ نَعِيمٍ، وَنَاعِمٍ، وَقِيلَ: وَاِدٍ فِي طَرِيقِ الطَّائِفِ يَخْرُجُ إِلَى عَرَافَاتٍ، وَقِيلَ: وَاِدٍ وَرَاءَ عَرَافَةَ، يُقَالُ لَهُ: نَعْمَانُ الْأَرَاكِ، أَوْ نَعْمَانُ السَّحَابِ، مُوَافِقًا يَوْمَ عَرَافَةَ، وَهُوَ يَوْمُ التَّاسِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَنَشَرَهُمْ وَفَرَّقَهُمْ وَأَلْقَاهُمْ مِثْلَ النَّمْلِ الصَّغِيرِ؛ بَيَانًا لِكَثْرَتِهِمْ، ثُمَّ خَاطَبَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُوَاجِهَةً عِيَانًا وَمُقَابَلَةً، لَا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، قَالَ: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) فَأَجَابُوا: أَنْتَ رَبُّنَا،

١) أخرجه الترمذي في أبواب التفسير (٤٥٣/٥) برقم (٣٣٦٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٧٣/١) برقم (٢٤٥٥) وقال محققه: رجاله ثقات رجال الشيخين غير كلثوم بن جبر من رجال مسلم وثقه أحمد وابن معين وذكره ابن حبان في الثقات، وقال النسائي ليس بالقوي، ورجح ابن كثير وقفه على ابن عباس، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٥٤٤/٢) برقم (٤٠٠٠) وصححه.

أنت رَبُّنَا، والصحيحُ أَنَّ جَوَابَهُمْ بقولِهِمْ (بلى) أنه بالتُّنْقِ، وهم أحياءٌ، عُقلاء، و(شَهْدُنَا) هذا مِنْ تَتِمَّةِ المَقُولِ، أي: شَهَدْنَا على أَنفُسِنَا بذلك، وَأَفْرَزْنَا بَوَحْدَانِيَّتِكَ، وقوله: (أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ) أي: حتى لا تقولوا يومَ القِيَامَةِ فَعَلْنَا ذلك كراهَةً، أو المعنى: أَنْ تَقُولُوا احتجاجًا: إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا المِيثاقِ أو الإقرارِ بالرُّبُوبِيَّةِ جاهِلِينَ لا نَعْرِفُهُ، ولا نُبَّهْنَا عليه.

وفي عمر آدم عليه السلام وعدد ذريته، يقول د. محمد عبده يماني: "وأكثر الأقوال على أن آدم عاش ألف سنة، ويذكر الطبري أن حواء ولدت له أربعين ولدا في عشرين بطنًا، في كل بطن ذكر وأنثى، إلا شيئًا فقد ولد وحده، وقيل غير ذلك. والله أعلم (١).

الأصح في عمر آدم عليه السلام هو ما بينه الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله عز وجل لما خلق آدم عليه السلام مسح ظهره، فأخرج منه ما هو من ذراريٍّ إلى يوم القيامة، فجعل يعرض ذريته عليه، فرأى فيهم رجلاً يزهر، فقال: أي رب، من هذا؟، قال: هذا ابنك داود، قال: أي رب، كم عمره؟، قال: ستون عاماً، قال: رب زد في عمره، قال: لا، إلا أن أزيده من عمرك، وكان عمرُ آدمَ ألفَ عام فزاده أربعين عاماً، فكتب الله عز وجل عليه بذلك كتاباً وأشهد عليه الملائكة، فلما احتضر آدم وأتته الملائكة لتقبضه، قال إنه قد بقي من عمري أربعون عاماً، فقيل: إنك قد وهبتها لابنك داود، قال: ما

(١) أجداد النبي (ص ٩١-٩٣).

فعلت! وأبرز الله عز وجل عليه الكتاب وشهدت عليه الملائكة (١).

وإن كان الأولى بالمسلم أن ينشغل بما يهمله من أمر دينه ودنياه، ولا حاجة به إلى الانشغال بما لا ينفع العلم به ولا يضر الجهل به، وخاصة ما لا يمكن في العادة معرفته على وجه التحقيق بنصوص الكتاب والسنة، وإنما العلم به مبني على مجرد نقولات عن أهل الكتاب، ومثل هذا وخاصة في مسائل الغيب لا يتحقق به العلم الصحيح.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن حواء ولدت لآدم عليهما السلام عشرين ومائة بطن، في كل بطن توأم. وقال بعضهم: جميع ما ولدته له أربعون، من ذكر وأنثى، في عشرين بطنًا.

قال الطبري: (وَذَكَرَ أَنَّ حَوَاءَ وَلَدَتْ لِآدَمَ الْكَلْبَلَاءَ عِشْرِينَ وَمِائَةً بَطْنًا، أَوْلَهُمْ قَابِيلٌ وَتَوَأَمَتَهُ قَلِيمًا، وَآخِرُهُمْ عَبْدُ الْمُغِيثِ وَتَوَأَمَتَهُ أُمَّةُ الْمُغِيثِ، وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ فَذَكَرَ عَنْهُ أَنَّ جَمِيعَ مَا وَلَدَتْهُ حَوَاءُ لِآدَمَ لِصُلْبِهِ: أَرْبَعُونَ، مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، فِي عِشْرِينَ بَطْنًا) أ.هـ (٢).

وما ذكره عن ابن إسحاق هو المشهور، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وَقَالَ الثَّعْلَبِيُّ: ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْقُرْآنِ أَنَّ حَوَاءَ وَلَدَتْ لِآدَمَ أَرْبَعِينَ نَفْسًا فِي عِشْرِينَ بَطْنًا) (٣).

١ ( رواه أحمد في المسند (٤٣/٣) برقم (٢٢٧٠).

٢ ( التاريخ الكبير، الطبري (١٤٥/١).

٣ ( فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (١٩٣/١٢).

وقد ذكروا أن حواء كانت تحمل في كل بطن ذكرا وأنثى ، وقد شرع الله لآدم عليه السلام أن يزوج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر.

قال ابن كثير: (ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ شَرَعَ لِآدَمَ عليه السلام أَنْ يُزَوِّجَ بَنَاتِهِ مِنْ بَنِيهِ لِضَرُورَةِ الْحَالِ، وَلَكِنْ قَالُوا: كَانَ يُوَلَدُ لَهُ فِي كُلِّ بَطْنٍ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، فَكَانَ يُزَوِّجُ أَنْثَى هَذَا الْبَطْنِ لِذِكْرِ الْبَطْنِ الْآخَرِ) (١) أ. هـ.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨٢/٣)، وينظر: جامع البيان، الطبري (٢٠٦/١٠).

## الفصل الثاني: قصة إدريس عليه السلام

## المبحث الأول: نسب سيدنا إدريس عليه السلام

سيدنا إدريس عليه السلام هو أحد الرسل الذين ذكروا في القرآن الكريم، وقد تناول القرآن الكريم بعض الرسل بكثير من المواقف، ومناهج الدعوة، ومواقف أقوامهم؛ كموسى، ونوح، وإبراهيم، وعيسى عليهم السلام، وهناك من الرسل من تناولتهم آيات قليلة، فلم يكن لهم ذكر إلا في مواضع معدودة في القرآن الكريم؛ من هؤلاء سيدنا إدريس عليه السلام.

يقول د. محمد عبده يماني: "إدريس عليه السلام هو أول من ذكرت نبوته في القرآن الكريم بعد آدم عليه السلام (واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً - ورفعناه مكاناً علياً) [مريم: 56]، وحسبه فضلاً ثناء الله هذا عليه، وهو النبي الثالث في عمود النسب الشريف بعد آدم عليه السلام، وشيت على ما ذكره علماء النسب" (١).

وسواء هذا النسب هو صحيح يقيناً أو من كلام كُتَّاب التاريخ، وكُتَّاب السير، هو على كل حال قريب من أبينا آدم عليه السلام، وهو يقيناً قبل سيدنا نوح عليه السلام، ذُكر أن اسمه في التوراة "أخنوخ"، وفي الترجمة العربية بنفس المعنى، وكتب هذا أصحاب قصص الأنبياء، كالشيخ عبد الوهاب النجار، وغيره.

يقول د. محمد عبده يماني: "وذكر ابن إسحاق أنه أول من خط بالقلم، وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمائة وثمانين سنة، ويسميه بعض الكتابيين هرمس الهرامسة أو هرمس الحكيم، وينسبون إليه

(١) أجداد النبي د. محمد عبده يماني (٩٥/١).

علوما كثيرة كعلوم الفلك، والهندسة، وغيرها، حتى إن بعض القدامى زعموا أنه هو الذي بنى الأهرام، ومع عدم تصديقنا لما زعموه، إلا أن ذلك يدل على تميزه، فنحن نعلم الآن أن الناس إذا أعجبت بشخص نسبت إليه كل طريف أو عجيب، وقد ورد في حديث الإسراء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قد لقيه في السماء الرابعة" (١) .

(١) أجداد النبي د. محمد عبده يماني (ص ٩٥)

## المبحث الثاني: إدريس عليه السلام نبي أم رسول؟

وينتقل د. محمد عبده يماني إلى بيان هل إدريس عليه السلام رسول أم نبي فقط؟ فيقول: "واختلفوا في أمر إدريس عليه السلام هل هو رسول أم نبي فقط؟ والوارد في القرآن الكريم نبوته (واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا. ورفعناه مكانا عليا)، وهذا يجعل ما روي عن أن أول رسول بعد آدم عليه السلام هو نوح عليه السلام غير متعارض؛ لأنه يقال: شيت وإدريس نبيان، ونوح أول رسول نبي بعد آدم، فلا تعارض بهذا مع حديث الشفاعة يوم القيامة، فإن صح الحديث بأنه رسول فيكون الجمع بينهما بأن نص الحديث الذي رواه الطبراني والحاكم وابن حبان وصحاحه: (إن إدريس كان نبيا ورسولا، وأنه أول من خط بالقلم) (١)، والحديث عن أولية رسالة نوح بعد آدم عليه السلام مقيدة بأنه أول رسول بعد آدم عليه السلام إلى أهل الأرض يحارب الأصنام لأنها لم تكن قبله" (٢).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٥٦٩/٢) برقم (٤١٦٥) في كتاب: تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، وابن حبان في موارد الظمئان (١٩٣/١) برقم (٩٤) باب: السؤال للفائدة.

(٢) أجداد النبي د. محمد عبده يماني (ص ٩٥)

### المبحث الثالث: سبب رفع إدريس عليه السلام والمراد منه

يقول الإمام أبو السعود عند قوله تعالى: (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) هو شرف النبوة والزلفى عند الله تعالى، وقيل: علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا، كما جاء في قوله تعالى عن رسولنا عليه الصلاة والسلام (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) [الشرح: ٤]، وقيل: (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) قيل: في الجنة، وقيل: السماء السادسة، أو الرابعة، روي عن كعب وغيره في بسبب رفع إدريس عليه السلام أنه سئل ذات يوم في حاجة، فأصابه وهج الشمس، فقال: يا رب، إني قد مشيت فيها يومًا، وقد أصابني منها ما أصابني، فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام، في يوم واحد؟! اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها، فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يُعرف، فقال: يا رب ما الذي قضيت فيه، فقال: إن عبدي إدريس سألتني أن أخفف عنك حملها وحرها، فأجبتة، قال: يا رب اجعل بيني وبينه خلة، فأذن الله تعالى له رفعه إلى السماء.

وما ذكره أبو السعود من أقوال في معنى الآية محتملة المعنى المراد منها، إذ إن الذي أنبأت عنه الآية يحتمل عدة احتمالات، يحتمل أن يكون العلو معنويًا، وهو علو الرتبة بشرف النبوة، أو بالذكر الجميل في الدنيا - كما قال أبو السعود - ويحتمل أن يكون العلو حسيًا برفعه إلى السماء (١)، وإن كنت أميل إلى الرأي الثاني لما في ذلك من خبر صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم يؤيده، وهو ما ثبت في

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (٥/٢٧١).

الصحيحين عن أنس رضي الله عنه في حديث المعراج أنه صلى الله عليه وسلم رأى إدريس في السماء الرابعة (١).

وإليه ذهب الفخر الرازي في تفسيره حيث قال: إن المراد به الرفعة في المكان إلى موضع عالٍ وهذا أولى؛ لأن الرفعة المقرونة بالمكان تكون رفعة في المكان لا في الدرجة (٢).

وما ذكره أبو السعود في سبب رفع إدريس عليه السلام فلا يشك عاقل في أنه من أخبار كعب الإسرائيلية التي نقلها عن أهل الكتاب، والتي لا تصح سندًا ولا متناً، ومن ثم فلا يسوغ نقلها ولا روايتها.

وهذا الذي ذكره أبو السعود سبقه إليه من سبقه من المفسرين؛ ابن جرير الطبري، فقد روى عن كعب الأخبار أيضاً خبراً يتعلق بنفس السبب، ولكن بسياق آخر، قال: حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني جرير بن حازم، عن سليمان الأعمش، عن شمر بن عطية، عن هلال بن يسار قال: سأل ابن عباس كعب، وأنا حاضر، قال: ما قول الله تعالى لإدريس: (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) فقال كعب: أما إدريس فإن الله أوحى إليه أني رافع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم، فأحب أن تزداد عملاً، فأتاه خليل له من الملائكة، فقال: إن الله أوحى إليّ كذا وكذا، فلكم لي ملك الموت فليؤخرنى حتى أزداد عملاً، فحمله بين جناحيه، ثم صعد به إلى السماء، فلما كانت السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت،

(١) الحديث في صحيح البخاري، كتاب: مناقب الأنصار، باب: المعراج (٣/١٤١٠) برقم (٦٣٧٤).

(٢) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي (٢١/٥٥٠).

منحدرًا، فلكم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس، فقال: وأين إدريس؟ فقال: هو ذا على ظهري، قال ملك الموت: العجب، بعثت، وقيل: اقبض لي روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة، وهو في الأرض؟ فقبض روحه هناك، فذلك قوله تعالى: (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) (١)، قال ابن كثير: هذا من أخبار كعب الأخبار (٢).

وفي القرطبي: قال السدي: إنه نام ذات يوم - أي سيدنا إدريس - واشتد عليه حر الشمس، فقال وهو منها في كرب، فقال: اللهم خفف عن ملك الشمس حرها، وأعنه على ثقلها، ثم ذكر نحو حديث كعب (٣).

قال ابن كثير: وهذا من أخبار كعب الأخبار الإسرائيليات، وفي بعضه نكارة، والله أعلم (٤).

مما تقدم يبدو واضحًا أن ما ذكره أبو السعود، وغيره من المفسرين في سبب رفع إدريس عليه السلام أن هذا من الإسرائيليات التي لا أصل لها، وفي القرآن والسنة غنية عن مثل هذه الغرائب.

ويكفينا في هذا المقام، أن نعتقد أن الله تعالى كرم إدريس عليه السلام، ورفع مكانًا عليًّا؛ سواء كانت الرفعة في الدرجة أم في المكان، والآية صرحت بهذه الدرجة، ولم تفصح لنا عن كنهها وكيفيتها، فيجب

(١) جامع البيان، ابن جرير الطبري (٢١٢/١٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٥٥/٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١١٨/١١).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٥٥/٣).

الإيمان بها، كما يجب الوقوف عند القدر الذي أخبر الله به دون  
تفصيل ما لم يرد به نص قرآني صريح، أو خبر متواتر عن المعصوم

ﷺ

## الفصل الثالث: قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ومناظراته

## قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ومناظراته

هو سيدنا إبراهيم الخليل نبي الله ورسوله، وأبو الأنبياء من بعد آدم عليه السلام، وكما قال عكرمة وابن كثير وغيرهم: هو أفضل الأنبياء بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ويقال: إن إبراهيم اسم أعجمي معناه أب رحيم.

وقد بعث الله إبراهيم عليه السلام حين كان عامة أهل الأرض كفارا فأزال الله هذا الكفر، وأبطل الله به ذلك الضلال، حيث آتاه رشده في صغره، ثم ابتعثه رسولا، ثم اتخذه خليلا. (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) [الأنبياء: ٥١] (١).

وقد تناول د. محمد عبده يماني الجانب الدعوي في قصة سيدنا إبراهيم، واهتم وسيلة من أهم وسائل الداعية إلى الله تعالى، وهي: المناظرة، فسجل مناظرات الخليل إبراهيم عليه السلام، وبين دورها في دحض شبهات المعاندين.

إن الدعوة إلى الله تعالى طريق الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم كما قال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [يوسف: ١٠٨]، وكان مما اعتنى به القرآن الكريم ذكر قصص دعوات الأنبياء، وتصويرها بأبلغ أسلوب، وعرضها بأدق عبارة، حتى أصبحت أخبارهم في القرآن الكريم نماذج حية يحتذونها الدعاة ويقتبسون من نورها، ويهتدون بهداها (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ) [الأنعام: ٩٠].

(١) أجداد النبي (ص ١٠١).

ومن أساليب إبراهيم عليه السلام النظرية في الدعوة: المناظرة والتدرج في إفحام الخصم، يقول عنه ابن القيم: "هو الذي فتح للأمة باب مناظرة المشركين وأهل الباطل، وكسر حججهم، وقد ذكر الله مناظرته في القرآن مع إمام المعطلين، ومناظرته مع قومه المشركين، وكسر حجج الطائفتين بأحسن مناظرة، وأقربها إلى الفهم وحصول العلم" (١).

(١) جلاء الأفهام، ابن قيم الجوزية (ص ٢٧٥).

## المبحث الأول: مناظرة إبراهيم عليه السلام لعبدة الكواكب

يقول د. محمد عبده يماني: "وقد ذكر الله مناظرة إبراهيم عليه السلام لقومه في العبادتين الباطلتين، إذ ناظر البابليين في عبادتهم للأصنام، وناظرهم في عبادتهم للكواكب، وقص الله علينا ذلك.

ففي مناظرته عبّاد الكواكب جاء قوله تعالى: (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين. فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازعا قال هذا ربي فلما أفل قال لكن لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين، وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون، وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون، وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم) [الأنعام ٧٥: ٨٣].

وكانت حجته جلية؛ لأن الذي يغشاه الأفول، ويغيبه الأفق ضعيف، عاجز مغلوب، لا يصلح أن يكون إلهًا، وقد سلك حجته على طريقة الاستقراء والتتبع حتى أثبت ضعفها، فبنى عليه أن الذي

يُعبَد حقا هو الذي خلقها هي والسموات والأرض، والذي يملك وحده الضر والنفع لا يغيب ولا يقلب، وبدأ لهم بكوكب الزهرة، فلما أفل، ثنى بالقمر الذي هو في رأي العين أضواً من الزهرة، فلما أفل ثلث بالشمس التي هي أشد الأجرام المشهودة ضياء وسناء وبهاء، فلما أفلت بين أنها كلها عاجزة مسيرة مدبرة، وأن الذي يستحق العبادة حقا هو من خلقها، ودبرها، وقدرها، وسيرها، وأنها لا تنفع ولا تضر، وأنه لا يخافها، ولا يعبدها، ولا يبالي بها، وهذه مناظرته لأهل حران الذين عرفوا بعبادة الكواكب (١).

لقد عني سيدنا إبراهيم عليه السلام - وإخوانه من الأنبياء - بتأصيل العقيدة وتثبيتها في نفوس قومه، وسلك في سبيل بيان الحق، وتزييف الباطل كل وسيلة تؤدي إلى ذلك، ومنها هذه المناظرة التي قامت بينه وبين قومه؛ لبيان حقيقة ما هم عليه من الضلال، فأنكر على أبيه اتخاذ الأصنام آلهة، ولما أشرك قومه معه شدد في إعلان النكير عليهم، وبين أن ما هم فيه ما هو إلا ضلال يبين عن نفسه، وذلك ليثير عواطفهم، ويدفعهم إلى التفكير الجاد العميق فيما هم فيه.

وكان إبراهيم عليه السلام قد بصره الله بالدلائل الكونية الدالة على وحدانية الله تعالى، فأراه آياته في ملكوته، ليعلم حقيقة التوحيد، أو ليزداد علما به، ويقينا إلى يقينه، وأرشدته إلى طريقة الاستدلال بها على المراد من العبادة.

(١) أجداد النبي (ص ١٠١).

ودخل سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه الصابئة الذين يعبدون النجوم، ويقيمون لها الهياكل في الأرض، دخل معهم في مناظرة لبيان بطلان ربوبية هذه الكواكب المعبودة، ولم يشأ أن يقرر التوحيد مباشرة. بل جعل دعوى قومه موضوع بحثه، وفرضها فرض المستدل لما لا يعتقده، ثم كر عليها بالنقض والإبطال، وكشف عن وجه الحق، فحينما أظلم الليل ورأى النجم قال: هذا ربي فرضاً وتقديراً، وقال: أهذا ربي، فلما غاب عن أعينهم علم أنه مسخر ليس أمره إليه، بل إلى مدبر حكيم يصرفه كيف شاء، ثم انتقل بهم في البحث إلى كوكب هو في أعينهم أضواً وأكبر من الأول، وهو القمر، فلما رآه قال مثل مقالته الأولى، فلما ذهب عن أعينهم تبين أنه ليس بالرب الذي يجب أن تأله القلوب، ويضرع العباد إليه في السراء والضراء، ثم انتقل بهم إلى معبود لهم آخر أكبر جرماً من السابقين فلما أفل، قال: (يا قوم إني بريء مما تشركون، إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) [الأنعام: ٥٨، ٥٩]، فاستدل بما يعرض لها من غيرها على أنها مأمورة مسخرة بتسخير خالقها.

فإذا كانت هذه الكواكب الثلاثة في نظرهم أرفع الكواكب السيارة وأنفعها قد قضت لوازمها بانتقاء سمات الربوبية والألوهية عنها، وأحالت أن تستوجب لنفسها حقاً في العبادة فما سواها من الكواكب أبعد من أن يكون لها حظ ما في الربوبية أو الألوهية، ولذا أعلن إبراهيم في ختام مناظرته براءته مما يزعمون من الشركاء، وأسلم وجهه لفاطر السماوات والأرض ومبدعهما، دون شريك أو ظهير.

وبهذا يكون إبراهيم عليه السلام قد سنّ للدعاة إلى الله أسلوباً متميزاً في دعوة المنحرفين، وذلك بالتنزل معهم بالتسليم بأباطيلهم فرضاً، ثم يرتب عليها لوازمها الباطلة، وآثارها الفاسدة، ثم يكر عليها بالنقض والإبطال، فإن الدعوة إلى الحق كما تكون بتزيينه، وذكر محاسنه تكون أيضاً بتشويه الباطل، وذكر مساويه ومخازيه.

وقد كان إبراهيم عليه السلام مناظراً لقومه لا ناظراً بنفسه، ويدل على ذلك: أنه كان موحداً من قبل النبوة، يقول تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ) [الأنبياء: ٥١]، وقوله تعالى: (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [آل عمران: ٦٧]، وهذا يقتضي نفي الشرك عن إبراهيم عليه السلام في كل مراحل عمره السابقة، ثم إن الله تعالى ذكر هذه الحادثة بعد إنكاره على أبيه وقومه، وبعد أن ذكر منته على إبراهيم برؤية ملكوت السماوات والأرض ليكون من المؤمنين، يضاف لذلك: أن الله ذكر في خاتمتها: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ) [الأنعام: ٨٣] فقال: على قومه، ولم يقل: على نفسه.

## المبحث الثاني: مناظرة إبراهيم عليه السلام لعبدة الأصنام

يقول د. محمد عبده يماني: "أما مناظرته لأهل بابل فكانت في عبادة الأصنام، وقد ذكرها القرآن الكريم في أكثر من موضع، وقد أبطل عبادتها قولاً وعملاً.

أما بالقول فقوله تعالى: (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين. إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون. قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين. قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين. قالوا أجبنا بالحق أم أنت من اللاعبين. قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين. وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) [الأنبياء: ٥١-٥٧].

وهنا يبدأ الإبطال العملي لهذه العبادة الباطلة فتقول بقية الآيات: (فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون. قالوا من فعل هذا بالهتنا إنه لمن الظالمين. قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم. قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون. قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم. قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون. فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون. ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون. قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم. أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون. قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين. قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم. وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين. ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين.

ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين. وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) [الأنبياء: ٥٨-٧٣].

وهنا نراه كسر الأصنام كلها وجعلها جزاءً إلا كبيرهم ليبين لهم عجزها عن ضر من يؤذيها، وعجزها عن الدفاع عن أنفسها فضلاً عن أن تدفعه عمن يعبدونها، وإبقاء الكبير دون تكسير دلالة على غاية العجز؛ لأنه لو كان إلها لحمى ما معه، ولأوقع الأذى بمن يعتدي عليهم، فإذا أضيف إلى ذلك أنه جعل الفأس في عنق هذا الكبير استهانة به وإذلالاً، فالفأس التي حطمت الأصنام معه، فلو كان يستطيع لحطم بها إبراهيم، ثم ألقى إبراهيم التهمة عليه، وطلب أن يسأله ويسألوهم فأخذوا بالحجة العملية من صدمة الواقع أول الأمر، ثم نكسوا على رؤوسهم وأعادوا اتهام إبراهيم وبطلان طلبه سؤال الآلهة المحطمة، فسقطوا في الشرك الذي نصبه لهم، وقالوا: (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) [الأنبياء: ٦٥]، وهذا هو غاية المراد أن يقرأوا بعجزها حتى عن الشهادة عليه أو الشكوى مما فعله بهم، ولذلك كان جوابه تضجراً عنيفاً من انغلاق عقولهم: (قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) [الأنبياء: ٦٦-٦٧].

فلما شهدوا بأنفسهم على عجزها، وسقطت حجتهم، لجأوا إلى العدوان بفعل ما عجزت عنه الهتهم، فأقاموا له النار نصراً لها، فخذلهم الله (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين) [الأنبياء: ٦٨].

ولما هياه المشركون لإلقائه في النار قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل)، كما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم حين ألقى في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قيل له: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ سَوَاءٍ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) [آل عمران ١٧٣-١٧٤] (١).

ولما ألقى في النار قال الله تبارك وتعالى: (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) [الأنبياء: ٦٩]، وروى البخاري وغيره أن الوزغ كان ينفخ ليشعل النار على إبراهيم، ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الوزغ (٢)، والصفدع كان يأتي بالماء ليطفئ النار فحرم قتله (٣).

هنا نلاحظ أن الخليل إبراهيم عليه السلام استخدم أسلوبا من أساليب الجدل والمناظرة وهو: استثارة الخصم، والمقصود به: تحريك النفوس، وتنبية العقول، ولفت الأنظار إلى الأمر الذي يدعوهم إليه.

ولقد فعل إبراهيم عليه السلام ذلك حين ترك كبير الأصنام بلا هدم (فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون) وذلك من أجل أن تدور في أذهانهم الأسئلة التالية: من فعل هذا بالهتنا؟ - لم لم يدافع

١) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التفسير، باب: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم (٣٩/٦) برقم (٤٥٦٣).

٢) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) (١٤١/٤) برقم (٣٣٥٩) عن أم شريك رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ، وقال: كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام.

٣) أجداد النبي د. محمد عبده يماني (ص ١٠٢).

الصنم الكبير عن صغاره؟ وهل كان ذلك عن عجز أو عدم إدراك لما يقع حوله؟ لِمَ لَمْ يوقع الصنم الكبير سوءاً بمن فعل ذلك؟ ثم استشارهم مرة أخرى حينما جاءوا إليه يسألونه عن أوقع ذلك بآلهتهم فقال: بل فعله كبيرهم هذا، فنسب التكسير إلى جماد لا يتحرك، ليقولوا له مباشرة: إنه لا يفعل شيئاً، وليقروا بضعف هذه الآلهة.

ولم يكتف بذلك، بل أمرهم أن يوجهوا إليها الأسئلة إن أخبرهم بمن أوقع بها ذلك، ولذلك أجابوا بكل سذاجة: (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون)، وعند ذلك انطلق مبادرا (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون).

## المبحث الثالث: مناظرة إبراهيم عليه السلام للنمرود بن

### كنعان

يقول د. محمد عبده يماني: وهناك مناظرة ثالثة ذكرها القرآن الكريم، دارت بين إبراهيم ونمرود الطاغية الذي ادعى الألوهية، وهو ملك بابل النمرود بن كنعان بن كوش، وكان أحد ملوك الدنيا، فلما دعاه الخليل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، أنكر وجود الله وادعى لنفسه الربوبية، فلما حاجه إبراهيم وعرفه أنه ليس بإله، وأن الله هو الذي يحيي ويميت، فقال النمرود: أنا أحيي وأميت، وأنه إذا أتى برجلين استحقا القتل فقتل أحدهما فيكون أماته، وعفا عن الآخر فيكون أحياءه، عند ذلك قال له إبراهيم: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فهل تستطيع أن تأتي بها من المغرب، إن كنت حقا إلهًا، فسكت ولم يجر جوابًا، وبهت، وانقطعت حجته، وذكر الله هذه المحاورة في قوله تعالى: (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين). وقد قال بعضهم: إن هذه المناظرة كانت بعد خروج إبراهيم من النار ولم يكن لقي النمرود قبلها. والله تعالى أعلم (١).

لقد جادل الملك إبراهيم عليه السلام في ربه، لأن الله آتاه الملك، فحملة كبره وبطره على طلب المخاصمة، ولم يكن بسبب إيثاره

(١) أجداد النبي (ص ١٠٣).

الحق وطلبه له، وكان الملك قد طلب من إبراهيم عليه السلام أن يقيم له الدليل على وجود الرب الذي يدعو إليه، فقال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت، أي: أن الدليل على وجوده هو: هذه المعجزة المتكررة الظاهرة المستترة، معجزة الحياة والموت، فلما أجابه أجابته الساذجة بقوله: (أنا أحيي وأميت) في مكابرة صريحة، وعناد ظاهر، يعلمه كل ذي عقل، فانتقل إبراهيم عليه السلام إلى دليل آخر دون مناقشة فقال: (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) أي: إذا كنت قادراً على الإحياء والإماتة، وهما من صفات الرب، فيلزم أن يكون بمقدورك التصرف في الكون، وأن تأتي بالشمس من المغرب.

وانتقال إبراهيم عليه السلام من دليل إلى آخر دون مناقشة لإجابة الملك الساذجة ليس عن هزيمة؛ لأن حجته كانت قائمة، إذ إبراهيم عليه السلام وكل عاقل يعلم أن المراد حقيقة الإحياء والإماتة، أما ما فعله الملك فأمر يقدر عليه كل أحد، حتى إبراهيم كان يمكن أن يقول له: إني أردت حقيقة الإحياء والإماتة، أما هذا فأنا أفعل مثله، ولكن إن قدرت على الإماتة والإحياء فأمت هذا الذي أطلقته من غير استخدام آلة وسبب، وأحي هذا الذي قتلته، فيظهر به بهت اللعين، إلا أن القوم لما كانوا أصحاب ظواهر، وكانوا لا يتأملون في حقائق المعاني خاف إبراهيم الاشتباه والالتباس عليهم، فضم إلى الحجة الأولى حجة ظاهرة، لا يكاد يقع فيها أدنى اشتباه، هذا الانتقال من أحسن ما يكون، لأن المحاجج إذا تكلم بكلام يدق على سامعيه فهمه، ولجأ الخصم إلى الخداع والتلبيس جاز له أن يتحول إلى كلام

يدركه السامعون، وأن يأتي بأوضح مما جاء به، ليثبت ما يريد إثباته،  
عندئذ بهت الذي كفر، والله لا يهدي القوم الظالمين.

## الفصل الرابع: من قصة إسماعيل عليه السلام

## المبحث الأول: مولد إسماعيل عليه السلام وصباه

جاء الحديث عن نبي الله إسماعيل عليه السلام في اثني عشر موضعاً في القرآن الكريم تناولت حياته.

كانت السيدة سارة زوج الخليل إبراهيم عليه السلام عقيماً لا تلد، فأشارت على زوجها أن يتزوج من خادمتها هاجر، ففعل، وقد حكى القرآن الكريم دعاء إبراهيم أن يرزقه الولد، قال تعالى: (رب هب لي من الصالحين \* فبشرناه بغلام حليم) [الصفوات: ١٠٠-١٠١]، فرزقه الله إسماعيل عليه السلام، فانتعشت نفس إبراهيم، وقرت به عينه، وأمره الله أن يصطحب زوجته هاجر وابنه إسماعيل إلى البيت العتيق، فأنزل هاجر وطفلها في هذا المكان الفقير، وتركهما في ذلك المكان النائي، لا يملكان من أمرهما شيئاً، ثم عاد إبراهيم إلى زوجته سارة، وخلف زوجته هاجر ووحيدته إسماعيل في تلك البقعة النائية، وهو يدعو الله أن يكلاه بعنايته، ويحفظه برعايته، وهو يقول: (إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) [إبراهيم: ٣٧].

امتثلت هاجر لأمر زوجها، ولقضاء ربها، وتحلت بالصبر الجميل، وأخذت تأكل وتشرب مما كانت تحمله معها من الزاد، ثم لم تلبث أن جف ضرعها، وأصبحت لا تجد لبناً تُرضعه الطفل، ولا ماء تطفئ به ظمأ صغيرها، وهي في مكان لا ماء فيه ولا غذاء، ولا أنيس فيه ولا جليس، فحاولت أن تجد لها من مأزقها مخرجاً،

فتركت صغيرها في مكانه يتلوى ويصرخ، وسارت هائمة على وجهها باحثة عن الماء، ومفتشة عن الغذاء، فلم تظفر من ذلك بشيء، ثم وصلت إلى جبلين، يقال لأحدهما: الصفا، ويقال للآخر: المروة، فأخذت تسعى بينهما بحثاً عن طلبتها، ثم عادت إلى طفلها فوجدته يزداد صراخاً من الجوع والعطش، ويضرب برجليه الأرض، فإذا الماء يخرج من تحت قدميه!! يا لرحمة الله بهذا الطفل! ويا للطف الله به! رأت هاجر رحمة الله وعنايته بها وبطفلها، فجلست تستريح من عناء بحثها، وأكبت على الطفل تروي ظمأه. هذه العين التي تفجرت تحت قدمي الطفل إسماعيل هي عين زمزم، التي لا زالت تروي حجيج بيت الله إلى يوم الناس هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولما نبع الماء، وسال على الأرض، اجتذب الطير إليه، فحومت حوله، وحلت فوقه، وكان قوم من قبيلة جُرهم يسيرون قرب هذا المكان، فعلموا من تحليق الطير أن ثمة ماء في هذا المكان، فدلّفوا إليه، واتخذوه موطناً ومقاماً، فأنست هاجر بهم، واطمأنت إلى جوارهم، وشكرت الله أن جعل أفئدة الناس تهوي إليهم، وكانت تلك دعوة إبراهيم عليه السلام (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) [إبراهيم: ٣٧].

لقد كان إبراهيم عليه السلام طوال حياته يأمل الولد، حتى إذا بلغ من الكبر عتياً، رزقه الله إسماعيل، فاقرّ به عينه، ثم امتثل لأمر ربه، فترك ولده وزوجه في مكان فقّر، وكان ما كان، وشبّ الطفل وعرك الحياة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء إبراهيم عليه السلام بأم إسماعيل وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء، فوضعها هناك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم عليه السلام حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه فقال: (رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع) حتى بلغ (يشكرون) [إبراهيم: ٣٧]. فجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال يتلبط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل تر أحداً فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ (فلذلك سعي الناس بينهما) فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صه - تريد نفسها - ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء، فجعلت تُحَوِّضُهُ وتقول بيدها هكذا،

وجعلت تغرف الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف. وفي رواية: بقدر ما تغرف. قال ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم (رحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم - أو قال - لو لم تغرف من الماء لكنت زمزم عيناً معيناً). قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة فإن ههنا بيتاً لله بينه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جُرْهُم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عائفاً فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لَعَهْدُنَا بهذا الوادي وما فيه ماء! فأرسلوا جرياً أو جريين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم، فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن نزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم. قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم: فألني ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس، فنزلوا فأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم، حتى إذا كانوا بها أهل أبيات وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجته امرأة منهم.

صحيح البخاري

## المبحث الثاني: من فضائل إسماعيل عليه السلام

وردت في القرآن الكريم آيتان كريمتان، تضمنتا جانباً من النعم والفضائل التي منحها الله سبحانه لنبيه إسماعيل عليه السلام، هاتان الآيتان قوله سبحانه (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا \* وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً) [مريم: ٥٤-٥٥]، فوصف سبحانه نبيه إسماعيل بصفات أربع، الأولى: أنه كان صادق الوعد، ووصفه بهذا الوصف وإن كان غيره من الأنبياء كذلك؛ تشریفاً له، وتكریمً لشأنه؛ ولأن هذا الوصف من الأوصاف التي اكتملت شهرتها فيه. الثانية: أنه كان رسولا نبيا، أي: كان من رسلنا الذين أرسلناهم لتبليغ شريعتنا، ومن أنبيائنا الذين رفعنا منزلتهم، وأعلينا قدرهم. الثالثة: أنه كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة، أي: وبجانب حرصه على أداء هاتين الفريضتين، كان يأمر أهله وأقرب الناس إليه بأداء هاتين الفريضتين؛ لكي يكون هو وأهله قدوة لغيرهم في العمل الصالح، الرابعة: أنه كان عند ربه مرضياً، أي: كان إسماعيل عند ربه مرضي الخصال والفعال؛ لاستقامته في أقواله وأفعاله، ولصدق وعده، ولأمره أهله بالصلاة والزكاة، ولا شك أن من اجتمعت فيه هذه الخصال، كان ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه.

ووصفه الله بالصبر، فقد كان صابراً، قال تعالى: (وَإِسْمَاعِيلَ  
وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ) [الأنبياء: ٨٥]

ويعد إسماعيل عليه السلام أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة وهو ابن أربع عشرة سنة، وكان قد تعلمها من العرب العاربة، الذين نزلوا عندهم بمكة من جرهم والعماليق وأهل اليمن من الأمم المتقدمين من العرب قبل الخليل عليه السلام، ولم يرد في القرآن الكريم القوم الذين أرسل إليهم إسماعيل عليه السلام، وقد ذكر ابن كثير : أن إسماعيل عليه السلام كان رسولاً إلى قبائل جرهم والعماليق، وأهل اليمن صلوات الله وسلامه عليه.

## المبحث الثالث: إبراهيم وإسماعيل يرفعان قواعد

### البيت

لبث إبراهيم عليه السلام بعيداً عن ابنه ما شاء الله أن يلبث، ثم وفد إليه لأمر جليل، وشيء عظيم، فقد أمره الله ببناء الكعبة، وإقامة أول بيت للناس، فاستجاب لأمر ربه، واضطلع به غير هياب.

عندما التقى الوالد والولد سرعان ما تعانقا، وبثَّ كلُّ منهما للآخر ما يجد، ثم أفضى إبراهيم لابنه بما أمره الله به، فكان إسماعيل أطوع لأبيه من بَنَانِه، وما كان جوابه إلا السمع والطاعة.

وسارا إلى المكان المحدد لإقامة البيت، وأخذا يحفران الأرض، ويرفعان قواعد البيت، وكان إسماعيل يأتي بالحجارة، ويهيئ الأدوات، وإبراهيم يبني، وهما يسألان الله ويقولان (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم \* ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم) [البقرة: ١٢٧-١٢٨]، ولم يلبثا طويلاً حتى وُضع الأساس، وظهر موضع البيت.

ولما ارتفع البناء، وطال الجدار، وقصرت يد إبراهيم عن أن تصل إلى أعلى البناء، طلب من ابنه أن يأتيه بحجر يستعين به ليصل إلى مطلوبه، فجاءه إسماعيل بحجر كان عوناً لإبراهيم على إتمام بناء البيت، وهكذا تم بناء البيت الذي جعله الله (مثابة للناس

وأمنّا) [البقرة: ٢٥]، تشتاق إليه الأرواح، وتحن إليه الأفئدة، وتأنس به النفوس، استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) [إبراهيم: ٣٧].

## المبحث الرابع: بيان من هو الذبيح والرد على مزيفي

### الحقائق

تحدثت آيات سورة الصافات عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فقال تعالى: (فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ \* فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ \* فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ \* وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ \* وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) [الصَّافات: ١٠١-١٠٧]،

قال الله تعالى عن عبده وخليه إبراهيم عليه السلام: (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ \* رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ \* فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ \* فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ \* فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ \* وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ \* وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ \* وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ \* سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ \* كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ \* وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ \* وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ) [٩٩-١١٣].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: يذكر تعالى عن خليفه إبراهيم أنه لما هاجر من بلاد قومه سأل ربه أن يهب له ولدا صالحا فبشره الله

تعالى بـغلام حلیم وهو إسماعیل عليه السلام لأنه أول من وُلد لإبراهيم الخليل عليه السلام، وهذا لا خلاف فيه بين أهل الملل أن إسماعيل كان أول ولده وبكره.

وقوله: (فلما بلغ معه السعي) أي: شبّ وصار يسعى في مصالحه كأبيه، قال مجاهد: (فلما بلغ معه السعي) أي: شبّ وارتحل وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل، فلما كان هذا رأى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يؤمر بذبح ولده هذا، وفي الحديث عن ابن عباس مرفوعاً: "رؤيا الأنبياء وحي"، وهذا اختبار من الله عز وجل لخليله في أن يذبح هذا الولد العزيز الذي جاءه على كبر وقد طعن في السن بعد ما أمر بأن يسكنه هو وأمه في بلاد قفر وواد ليس به حسيس ولا أنيس ولا زرع ولا ضرع فامتثل أمر الله في ذلك وتركهما هناك ثقة بالله وتوكلاً عليه فجعل الله لهما فرجاً ومخرجاً ورزقهما من حيث لا يحتسبان، ثم لما أمر بعد هذا كله بذبح ولده هذا الذي هو بكره ووحيده الذي ليس له غيره أجاب ربه وامتثل أمره وسارع إلى طاعته، ثم عرض ذلك على ولده ليكون أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يأخذه قسراً ويذبحه قهراً (قال يا بنيّ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى)، فبادر الغلام الحلیم (قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين)، وهذا الجواب في غاية السداد والطاعة للوالد ولرب العباد، قال الله تعالى: (فلما أسلما وتلّه للجبين)، قيل: أسلما، أي: استسلما لأمر الله وعزما على ذلك، ومعنى تلّه للجبين، أي: ألقاه على وجهه، قيل: أراد أن يذبحه من قفاه لئلا يشاهد وجهه في حال ذبحه، قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبیر وقتادة والضحاك: أسلما، أي: سمّى إبراهيم وكبر

وتشهد الولد للموت، قال السدي وغيره: أمرَّ السكين على حلقه فلم تقطع شيئاً، ويقال جُعل بينها وبين حلقه صفيحة من نحاس - والله أعلم - فعند ذلك نودي من الله عز وجل: (أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) أي: قد حصل المقصود من اختبارك وطاعتك ومبادرتك إلى أمر ربك وبذلِكَ ولدك للقربان كما سمحت ببدنك للنيران وكما مالك مبذول للضيفان، ولهذا قال تعالى: (إن هذا لهو البلاء المبين) أي: الاختبار الظاهر البين (١).

يقول د. محمد عبده يماني: "النصوص الواردة في قصة الذبيح هي أفضل ما نحتكم إليه في بيان من هو الذبيح والرد على مزيفي الحقائق من اليهود الذين أرادوا التهوين من شأن العرب وأبيهم إسماعيل عليه السلام حتى يفردوا أباهم نبي الله إسحاق عليه السلام بكل منقبة وفضل، حسدا منهم؛ لما خص الله نبيه ورسوله إسماعيل عليه السلام بالبشارة به وله، وأنه بكر إبراهيم، والذي فداه الله بذبح عظيم يوم محنة الذبح، وبناءه الكعبة مع أبيه خليل الرحمن، وجهاده من أرسل إليهم، وأنه أبو الأمة المرحومة المجتابة حتى تمنى نبيهم الكريم موسى عليه السلام أن يكون منها، وأنه جد إمام المرسلين، وخاتم النبيين، وخير خلق الله أجمعين، وحامل ختام الوحي إلى الناس أجمعين، هذا مع أن كتبهم حتى اليوم تنطق بأن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، فعندهم نص يقول الله فيه لإبراهيم: (اذبح ولدك البكر)، وهم في نصوصهم يقرون بأن سارة عقيما، وأنها قدمت هاجر إلى إبراهيم عسى أن يكون لهما ولد منها، فإسماعيل ولد

(١) البداية والنهاية، ابن كثير (١٥٧/١-١٥٨).

هاجر قطعاً هو بكر إبراهيم، أما إسحاق جدهم فهو بكر سارة"  
(١).

"أما القرآن الكريم فيقول على لسان إبراهيم عليه السلام: (الحمد لله الذي وهب لي على الكبير إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء) [إبراهيم: ٣٩]، فذكر إسماعيل ثم إسحاق، أي ذكرهما معاً.

وفي سورة الصافات: (وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين . رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعي قال يا بني إلى أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا إبراهيم . قد صدقت الرؤيا إنا كذلك تجري المحسنين، إن هذا لهو البلاء المبين) [الصافات: ٩٩-١٠٦].

وواضح في الآيات السابقة أن الله تعالى يذكر عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه لما هاجر من بلاد قومه سأل ربه أن يهب له ولداً صالحاً فبشره الله تعالى بغلام حليم وهو إسماعيل عليه السلام.

واستعمال الفاء في إجابة ربه لدعائه (فبشرناه) وهي تدل على الترتيب والتعقيب دون وجود حدث فاصل، ومعلوم حتى في كتب أهل الكتاب أن إسحاق ولد بعد إسماعيل بثلاث عشرة سنة - وأن أول ولد له هو إسماعيل لأنه ولد له على رأس ست وثمانين سنة - وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل الملل؛ لأنه ولده وبكره.

(١) أجداد النبي د. محمد عبده يماني (ص ١١٠).

ونجد في سرد الآيات السابقة من سورة الصافات أن الله قد بشره بولده البكر إسماعيل بعد أن هجر قومه، ثم تذكر الآيات مباشرة بضمير الغائب - الذي يعود في اللغة على أقرب مذكور في الكلام قبله - أن هذا الغلام لما شب وصار يمكنه السعي في مصالحه، أخبره أبوه بأمر الذبح، وليس بين المقامين ذكر لمولود سواه (فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى) [الصافات: ١٠٢]، ولم يكن قد سبق وجود أو ذكر لإسحاق.

ثم تسرد الآيات قصة الذبح والفداء وأنها كانت ابتلاء واختباراً لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فصدقا مع الله فجازاهما بالفداء، وجعل لإبراهيم حسن الذكر في الآخرين، ثم تأتي بعد ذلك البشارة بإسحاق، وأنه سيولد ويكون نبيا من الصالحين.

والآيات من سورة هود تذكر بشارة الملائكة لسارة بإسحاق، ومن ورائه أي من ذريته يعقوب بعد ذكر قصة لوط: (وامراته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) [هود: ٧١].

ونلاحظ ازدواج البشارة بميلاد إسحاق، ثم بأنه سيولد له ولد يسمى يعقوب، وهذا وعد من الله لا يتخلف أبداً، فكيف يتصور العقل ابتلاء إبراهيم بأن يأمره الله بذبحه مع يقينه بمقتضى البشارة السابقة وأنه سيعيش حتى يكبر ويصبح أباً ليعقوب؟!.

والآيات من سورة الصافات أنه أمر بذبح ولده عندما بلغ معه السعي وليس بعد أن كبر وتزوج وولد له يعقوب، وسمى الله

إسماعيل بالغلام الحليم بينما يذكر إسحاق بأنه غلام عليم، وقصة الذبح جاءت في الآيات بعد ذكر الغلام الحليم وبلوغه من السعي، وتكرر ذكر البشارة بهذا الغلام العليم بعد ذكر قصة ذهاب الملائكة إلى قوم لوط في سورتي الحجر والذاريات ولم يرد ذكر الذبح فيهما، ففي سورة الحجر: (قالوا لا توكل إنا نبشرك بغلام عليم) [الحجر: ٥٣]، وذلك إخباره بما سيجري لقوم لوط، (فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم) [الذاريات: ٢٨].

أما سورة الصافات فسياقي سياق ذكر الغلام الحليم وبعده قصة الذبح بعد ذكر هجرة إبراهيم (وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين . رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) [الصافات: ٩٩-١٠٢].

فالسباق غير السياق، والأحداث غير الأحداث، والزمان غير الزمان، والمكان غير المكان، والأشخاص غير الأشخاص، ولا أدري كيف يقع اللبس في شخص الذبيح مع كل هذه النصوص الصريحة الواضحة.

ونلاحظ في الآية الكريمة (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء) [إبراهيم: ٣٩] نلاحظ أنه قدم إسماعيل على إسحاق في الذكر، وذلك يؤكد أنه ولده البكر، وهو الذبيح، بل نلاحظ أنه ما جمع في آية قرآنية ذكر إسماعيل وإسحاق إلا ذكر إسماعيل أولاً، ثم يعطف عليه إسحاق.

فإلى جانب الآية السابقة نجد آية: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) [البقرة: ١٣٦]، وكذلك الآية: (أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ) [البقرة: ١٤٠]، وكذلك الآية: (قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) [البقرة: ١٣٣]، وكذلك الآية: (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) [آل عمران: ٨٤]، والآية: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) [النساء: ١٦٣].

وكلها نص في أن بكر إبراهيم هو إسماعيل الذي بُشر به أولاً، ووصف بالغلام الحليم.

والثابت أن مكان الذبح وإقامة الذبح كانت بمكة، ولم يعش إسحاق إلا في الشام كما تذكر كتب التاريخ وكتب التفسير، وكتب السنة، وكما يذكر ابن تيمية وابن القيم. وهذا ما يرويه الحاكم في المستدرک عن ابن عباس: الذبيح إسماعيل، وعن ابن عمر قال: إسماعيل عند ذبح إبراهيم الكبش" (١).

فهذه الأدلة التي تناولها د. محمد عبده يماني تدل على أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وذلك من وجوه:

(١) أجداد النبي د. محمد عبده يماني (١١٠-١١٣)

الوجه الأول: أنه بَشَّرَهُ بالذبيح وذكر قصته أولاً، فلما استوفى ذلك قال: (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ \* وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ) [الصافات: ١١٢ - ١١٣]، فبيّن أنهما بشارتان؛ بشارة بالذبيح، وبشارة ثانية بإسحاق.

الوجه الثاني: أنه لم يذكر قصة الذبيح في القرآن إلا في موضع سورة الصافات، وفي سائر المواضع يذكر البشارة بإسحاق خاصة، كما في سورة هود من قوله تعالى: (وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) [هود: ٧١]، فلو كان الذبيح إسحاق لكان خُلُفًا للوعد في يعقوب.

الوجه الثالث: أنه تعالى ذكر هبة إسحاق ويعقوب لإبراهيم في قوله تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ) [الأنبياء: ٧٢]، وقوله: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) [العنكبوت: ٢٧]، ولم يذكر الله الذبيح فدل هذا على أنه ليس الذبيح.

الوجه الرابع: أنه ذكر في الذبيح أنه غلام حلِيم، ولما ذكر البشارة بإسحاق ذكر البشارة بغلام عليم، والتخصيص لا بد له من حكمة، وهذا مما يقوّي اقتران الوصفين؛ الجلم هو مناسب للصبر الذي هو خُلُقُ الذبيح، وإسماعيل وصف بالصبر في قوله تعالى: (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ) [الأنبياء: ٨٥]، ووصف بصدق الوعد في قوله تعالى: (إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ) [مريم: ٥٤]؛ لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوقه به، وقال تعالى

في الذبيح: (يا أبتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)  
[الصافات: ١٠٢].

الوجه الخامس: أن البشارة بإسحاق كانت معجزة؛ لأن العجوز عقيم؛ ولهذا قال الخليل عليه السلام: (أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تَبَشِّرُونَ) [الحجر: ٥٤]، وقالت امرأته: (يا وَيْلَتَى أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا) [هود: ٧٢]، وقد سبق أن البشارة بإسحاق في حال الكبر، وكانت البشارة مشتركة بين إبراهيم وامرأته، أما البشارة بالذبيح، فكانت لإبراهيم عليه السلام وامتنحن بذبحه دون الأم المبشرة به، وهذا مما يوافق ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الصحيح وغيره من أن إسماعيل لما ولدته هاجر غارت سارة فذهب إبراهيم بإسماعيل وأمه إلى مكة، وهناك أمر بالذبح، وهذا مما يؤيد أن هذا الذبيح دون ذلك.

الوجه السادس: أن الله تعالى قال: (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) [هود: ٧١]؛ فكيف يأمر بعد ذلك بذبحه، والبشارة بيعقوب تقتضي أن إسحاق يعيش ويولد له يعقوب؟! ولا خلاف بين الناس أن قصة الذبيح كانت قبل ولادة يعقوب، بل يعقوب إنما ولد بعد موت إبراهيم عليه السلام وقصة الذبيح كانت في حياة إبراهيم بلا ريب.

هذه خلاصة أوجه تأييد القول بأن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام وليس يعقوب.

## المبحث الخامس: قصة الذبيح عند المفسرين والمؤرخين

### والحكمة منها

قوله: (وفديناه بذبح عظيم) أي: وجعلنا فداء ذبح ولده ما يَسَّرَهُ اللهُ تعالى له من العَوَظِ عنه، والمشهور عن الجمهور أنه كبش أبيض أَعْيَنَ أقرن، قال الثوري عن عبدالله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفاً، وروي عن ابن عباس أن رأس الكبش لم يزل معلقاً عند ميزاب الكعبة قد يبس، وهذا وحده دليل على أن الذبيح إسماعيل؛ لأنه كان هو المقيم بمكة وإسحق لا نعلم أنه قدمها في حال صغره، والله أعلم (١)، وعلى هذا فالذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق.

وقد ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآيات عدّة وجوه في إثبات أن الذبيح هو إسماعيل وملخصها:

- ١- أن إسماعيل هو أول ولد بُشِّرَ به إبراهيم، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، وقد ذكر عند أهل الكتاب أن الله تعالى أمره أن يذبح ابنه الوحيد وفي نسخة بكره.
- ٢- أن أول ولد له من المعزّة ما ليس لمن بعده من الأولاد، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار.

(١) البداية والنهاية، ابن كثير (١/١٥٧-١٥٨).

- ٣- أنه ذكر البشارة بـغلام حلیم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: (وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين)، والملائكة لما بشروا إبراهيم بإسحاق قالوا: (إنا بشرناك بـغلام حلیم).
- ٤- أن الله تعالى قال: (فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) أي: يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب فيكون من ذريته عقب ونسل، فلا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير؛ لأن الله تعالى قد وعدهما بأنه سيُعقب ويكون له نسل.
- ٥- أن إسماعيل وصف ههنا بالحليم؛ لأنه مناسب لهذا المقام (١).

ثم يذكر د. محمد عبده يماني تناول المفسرين وكتاب التاريخ قصة الذبح فيرجع إلى تفسير ابن كثير وينقل عنه تفسيره لبقية قصة الذبح، فيقول: "وقوله تعالى: (فلما بلغ معه السعي) أي كبر، وترعرع، وصار يذهب مع أبيه، ويمشي معه، قال ابن عباس ومجاهد: (فلما بلغ معه السعي) يعني شب وارتحل وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل، (قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى). قال عبید بن عمير: رؤيا الأنبياء وحي، ثم تلا هذه الآية" (٢).

"وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه وليختبر صبره وجلده و عزمه في صغره على طاعة الله تعالى، وطاعة أبيه قال: (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أي: امض لما أمرك الله من ذبحي وستجدني إن

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٥/٤).

(٢) أجداد النبي د. محمد عبده يماني (ص ١١٣).

شاء الله من الصابرين) أي سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل  
(١).

"وصدق إسماعيل، صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد، ولهذا قال تعالى: (فلما أسلما وتله للجبين ) أي فلما تشهدا، وذكرنا الله تعالى، (إبراهيم على الذبح، وولده إسماعيل شهادة الموت). وقيل: اسلما يعني استسلما وانقادا، إبراهيم امثل أمر الله تعالى، وإسماعيل طاعة الله وأبيه، ومعنى (تله للجبين): أي صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه، ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه، قال ابن عباس رضي الله عنه: (تله للجبين) أكبه على وجهه، وكان على إسماعيل عليه السلام قميص أبيض، فقال له: يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفني فيه غيره فاخله عني تكفني فيه، فعالجه ليخلعه فنودي من خلفه (ونادينا أن يا إبراهيم، قد صدقت الرؤيا ) فالتفت إبراهيم فإذا بذبح عظيم يفدي به الله سبحانه وتعالى إسماعيل عليه السلام كما جاء في الآية الكريمة" (٢).

يقول ابن كثير: (ونادينا أن يا إبراهيم، قد صدقت الرؤيا) أي: قد حصل المقصود من رؤياك، وذكر السدي وغيره: أنه مر بالسكين على رقبتة فلم تقطع شيئا، بل حال بينها وبينه صفحة من نحاس ونودي إبراهيم عند ذلك: (قد صدقت الرؤيا) (٣).

١ ( تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢٩/٧).

٢ ( أجداد النبي د. محمد عبده يماني (ص ١١٤).

٣ ( تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣٠/٧).

"وفي قوله تعالى: (كذلك نجزي المحسنين) أي: هكذا نصرف  
عمن أطاعنا المكاره والشدائد، ويجعل لهم من أمرهم فرجا  
ومخرجا، قال تعالى في هذا الموقف: (إن هذا لهو البلاء المبين)، أي  
الاختبار الواضح الجلي حيث أمر بذبح ولده فسارع إلى ذلك  
مستسلما لأمر الله منقادا إلى طاعته ولهذا قال تعالى: (وإبراهيم  
الذي وفى). ف (تبارك الذي بيده الأمر وهو على كل شيء قدير)" (١).

### الحكمة من ذبح إسماعيل عليه السلام:

ذكر العلماء حكما من أمر الله سبحانه وتعالى لسيدنا إبراهيم  
عليه السلام بذبح ابنه، ومنها:

- ١- تحقيق معنى العبودية لله: فقد طلب إبراهيم عليه السلام من ربه أن يهب له غلاما، وحين استجاب ربه لسؤله ورزقه إسماعيل عليه السلام، أحبَّ إبراهيم عليه السلام ولده حُبًّا جمًّا وتعلَّق قلبه به، ولمَّا كان إبراهيم خليل الله تطلَّب ذلك ألا يكون في قلبه أحدٌ غيره، فجاء أمر الله تعالى بأن يذبح إبراهيم ولده إسماعيل، ولم يكن من إبراهيم خليل الله إلا الاستجابة لأمر الله تعالى، وعندما باشر ذبح ابنه تبَيَّن أنَّ محبة الله وعبوديته أكبر في قلب إبراهيم عليه السلام من حبه لولده إسماعيل، وهنا لم يعد من الذبح غاية، فأنهى الله تعالى هذا الأمر بفداء الذبيح إسماعيل عليه السلام بكبش عظيم.
- ٢- وجوب المسارعة إلى تنفيذ أمر الله: عندما جاء أمر الله لإبراهيم عليه السلام بذبح ولده إسماعيل لم يتردّد بذلك أبداً؛ بل ذهب إلى ابنه وأخبره بما رأى من أمر الله، وكان هذا اختبارا لكليهما، وقد أسرع

(١) أجداد النبي د. محمد عبده يماني (ص ١١٥).

إبراهيم عليه السلام لتنفيذ ما أمره به الله تعالى والانقياد لأوامره، يقول الله تعالى: (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى)، وكان أيضاً إسماعيل عليه السلام صابراً على هذا البلاء العظيم، وساعد والده على قبول أمر الله تعالى والانصياع إليه.

٣- الرحمة بسارة، والجبر لقلب هاجر: كانت السيدة سارة شديدة الغيرة من السيدة هاجر أم إسماعيل والتي كانت جاريتها، وحين أنجبت هاجر ولدها إسماعيل ازدادت الغيرة في قلب سارة؛ فقد أحبه أبوه كثيراً، عندئذٍ جاء أمر الله تعالى لنبيه إبراهيم أن يأخذ هاجر وابنها إلى مكة ويُسكنها هناك، وذلك حتى تخف الغيرة عند سارة، وهذا من فضل الله -تعالى- ورحمته بها، كما جاء أمر الذبح لابن هاجر دون ابن سارة حتى يرق قلب سارة على هاجر وابنها، وتتحول الغيرة الشديدة إلى رحمة وحب، أمّا هاجر فقد جبر الله تعالى قلبها، وذلك حين جعل نهاية الوحدة والبعد والاستسلام لأمر الله بذبح ابنها تكريماً لهما، فأصبحت آثارهما والمكان الذي مشت فيه بحثاً عن الماء أماكن عبادة يأتيها المسلمون من كل البلاد إلى أن يبعث الله العباد.

## الفصل الخامس: قصة سيدنا عيسى عليه السلام

## المبحث الأول: معجزة الحمل بعيسى عليه السلام وولادته

شاء الله الحكيم أن يجعل عيسى عليه السلام آية، ولذلك جعل معجزاته عديدة في حياته، فقد كان حمل أمه به من غير زوج آية، وإنزاله من بطن أمه متكماً آية، وإنطاقه أمام أهلها آية، وهذه آيات ومعجزات رافقت خلقه وميلاده وطفولته.

لقد أمر الله تعالى جبريل الأمين عليه السلام أن ينفخ في جيب درع السيدة مريم - وهو رقبة الثوب ومدخل الرأس منه - فنزلت النّفخة بإذن الله فولجت رحمها فصارت روحاً خلقها الله تعالى.

وقد بين عزّ وجلّ مبدأ خلق عيسى عليه السلام فقال تعالى: (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا) [الأنبياء: ٩١]، ثم بين تعالى أن النفخ وصل إلى الفرج، فقال عز وجل: (ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) [التحريم: ١٢]، ودلّ قوله تعالى: (إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً) [مريم: ١٩] على أن النافخ هو جبريل، وهو لا يفعل إلا بأمر الله تعالى.

وقد جاءت أقوال عن بعض المفسرين في مدة الحمل، وأنها لحظات، وهذا غير واضح، ولا تدل عليه النصوص، ولو كان كذلك لكان آية في نفسه، يمكن أن يسلموا أنه ليس بالحمل العادي الذي تحمل به النساء، وبعده لا يتهمونها بالزنا كما قالوا: (يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً) [مريم: ٢٧].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: "اختلف المفسرون في مدة حمل عيسى عليه السلام، فالمشهور عن الجمهور أنها حملت به تسعة

أشهر ، .... وقال ابن جريج: أخبرني المغيرة بن عتبة بن عبد الله الثقيفي سمع ابن عباس رضي الله عنه وسئل عن حمل مريم قال: لم يكن إلا أن حملت فوضعت، وهذا غريب، وكأنه مأخوذ من ظاهر قوله تعالى: (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا . فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة) [مريم: ٢٢-٢٣]، فالفاء وإن كانت للتعقيب لكن تعقيب كل شيء بحسبه، كقوله تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما) [المؤمنون: ١٢]، هذه الفاء للتعقيب بحسبها، وقد ثبت في الصحيحين أن بين كل صفتين أربعون يوما (١)، وقال تعالى: (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة) [الحج: ٦٣].

فالمشهور الظاهر - والله على كل شيء قدير - أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن ... ولما استشعرت مريم من قومها اتهامها بالريبة انتبذت منهم مكانا قصيا أي قاصيا منهم بعيدا

(١) يشير إلى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : بِكُتْبِ رُزْقِهِ ، وَأَجَلِهِ ، وَعَمَلِهِ ، وَشَقِيٍّ ، أَوْ سَعِيدٍ ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيَدْخُلُهَا) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الوحي، باب: ذكر الملائكة (١١١/٤) برقم (٣٢٠٨)، ومسلم في كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (٤٤/٨) برقم (٦٨١٦).

عنهم لئلا تراهم ولا يروها، وتوارت من الناس واتخذت من دونهم حجاباً فلا يراها أحد ولا تراه (١).

وأقوال العلماء في قدر المدة التي حملت فيها مريم بعيسى قبل الوضع كثيرة لكن لا دليل على شيءٍ منها، وأظهرها: أنه حمل كعادة حمل النساء، وإن كان منشؤه خارقاً للعادة. والله تعالى أعلم (٢).

قال الله تعالى عن المسيح ﷺ: (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ) [المائدة: ٧٥]، قيل: سُمِّيَ المسيح؛ لَمَسَّحِهِ الأَرْضَ، وهو سياحته فيها، وفراره بدينه من الفتن في ذلك الزمان؛ لشدة تكذيب اليهود له، وافترائهم عليه وعلى أمه، عليهما السلام، وقيل: لأنه كان ممسوحاً القدامين، وقال تعالى: (وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ) [المائدة: ٤٦]، وقال تعالى: (وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) [البقرة: ٨٧]، والآيات في ذلك كثيرة جداً، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: (رَأَيْتُ عِيسَى وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَا عِيسَى، فَأَحْمَرُ، جَعْدٌ، عَرِيضُ الصَّدرِ...) (٣)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (الأنبياء إخوة لِعَلَاتٍ، ودينهم واحدٌ، وأمهااتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبيٌّ، وإنه نازلٌ - فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجلٌ مزبوعٌ إلى الحُمْرة والبياض، سَبُطٌ كَأَنَّ

١ ( تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٢٢/٣).

٢ ( ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي (٢٦٤/٤).

٣ ( صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: واذكر في الكتاب مريم (١٦٦/٤) برقم (٣٤٣٨).

رأسه يقطر وإن لم يصبه بللٌ - بين مَمَصَّرَتَيْنِ، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويعطل المَلَل حتى تهلك في زمانه المَلَلُ كُلُّها غير الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب، وتقع الأمانة في الأرض حتى تترتع الإبل مع الأسد جميعاً، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات، لا يضر بعضهم بعضاً، فيمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يتوفى، فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه" (١).

١ ( سنن أبي داود، كتاب: الملاحم، باب: خروج الدجال (٣٧٨/٦) برقم (٤٣٢٤)، وأحمد في المسند (٣٩٨/١٥) برقم (٩٦٣٢)، وقال محققهما (الأرنؤوط): حديث صحيح.

## المبحث الثاني: نبوة عيسى عليه السلام ومعجزاته

كبر عيسى عليه السلام إلى أن صار شاباً وبعثه الله نبياً ورسولاً، وجعل الله له عدداً من الآيات والمعجزات لبني إسرائيل، أقام عليهم فيها الحجّة، وكذلك لما صمّم اليهود على صلبه وقتله، حماه الله منهم، ورفعهم إلى السماء، وجعل هذا آية، وهو الآن حيٌّ في السماء بروحه وبدنه، حياة غيبية لا نعرف كيفيتها، وجعل الله هذه آية، وسينزله الله في آخر الزمان إلى الأرض، فسيكون إنزاله آية.

يقول د. محمد عبده يماني: "وقد فُتنت النصارى بعيسى بن مريم عليه السلام لما أجرى الله على يديه من المعجزات العظيمة، مع أنه كان يخبرهم أنه إنما يفعل ذلك بإذن الله، وأنه عبد الله ورسوله.

وقد أراد الله تعالى أن يُري عباده آية من آياته فخلق عيسى من غير أب ليعلموا أنه على كل شيء قدير، وأنه كما خلق آدم من غير أب ولا أم، وكما خلق حواء من آدم بغير زواج، فإنه هنا خلق عيسى من أم بغير أب، وأنه سبحانه يخلق ما يشاء، إن شاء خلق بسبب، وإن شاء خلق بغير سبب؛ لأن الأسباب من إبداعه وصنعه، يعملها ويبطلها كيف يشاء، ولا يقدر على ذلك أحد سواه" (١).

لقد أيد الله تعالى كل نبي بالمعجزات الشاهدة على صدقه، وكانت معجزة كل نبي في زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان، ونبي الله عيسى عليه السلام بُعث في زمان كثر فيه التباهي والتسابق في المهارة

(١) لماذا لم يعبد رسول الله د. محمد عبده يماني (ص ٢٠)

من الأطباء، فجاءهم بمعجزات لا سبيل لأحد منهم إليها، لأنه مؤيد من الله، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه المعجزات التي أيده الله بها، فقال تعالى: (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل. ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) [آل عمران: ٤٨ - ٤٩].

**يقول د. محمد عبده يماني:** "ومن أعظم معجزات عيسى عليه السلام إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وإنباء الناس بما غاب عنه من أحوالهم، وما يأكلون في بيوتهم، وما يدخرون لأنفسهم من أموال أو أرزاق، وأن الله قد خلقه بكلمة، ولم يخلقه من أب: (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل. ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) [آل عمران: ٤٨ - ٤٩]، ثم رفعه الله إلى السماء بجسمه وروحه، (إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي) [آل عمران: ٥٥]، (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً. بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً) [النساء: ١٥٧-١٥٨]" (١).

(١) لماذا لم يعبد رسول الله د. محمد عبده يماني (ص ٢٠)

وبالنظر في هذا يمكن لنا أن نستنتج أبرز معجزات نبي الله عيسى عليه السلام، ومنها:

١- ميلاده من أمّ بلا أب: يقول تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [آل عمران: ٥٩]، وقال تعالى أيضاً: (قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أُمْرًا مَقْضِيًّا) [مريم: ٢١].

٢- تأييده بروح القدس: روح القدس هو جبريل عليه السلام، ونطقه ببيان دقيق وهو لم يزل في المهد، قال تعالى: (وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس).

٣- تعليمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل: بعد فقدان جميع الكتب السماوية السابقة، وفي مقدمتها التوراة والزبور التي كان غلاة اليهود قد قاموا بتحريفها بعد ضياع أصولها، كما كانوا قد أجزوا العديد من الحذف والإضافة لما كان قد بقي عندهم من ذكريات عن هاتين الرسالتين.

٤- إبراء الأكمه والأبرص: الأكمه هو الذي ولد أعمى، أي: لم يطرأ عليه العمى بعد ولادته، فالعمى نوعان: عمى أصلي، وعمى عرضي، فالعمى العرضي يمكن علاجه، حيث إن العمى قد طرأ على المبصر لعلّة، فربما إذا زالت عاد البصر كما كان، وأما العمى الأصلي وهو الأكمه فصاحبه من المستحيل علاجه في عالم الأسباب، ومن هنا صار الإعجاز أيضاً، فلو أن القوم استطاعوا علاج رجل أعمى أصابه العمى بعد إبطار فإنهم لو اجتمعوا لا يستطيعون علاج رجل أكمه وولد أعمى بلا عينين ليجعلوه مبصراً. وكذلك البرص، وهو بياض يظهر في الجلد في بقع متناثرة في الجسد، وهو مرض صعب لم يكن باستطاعتهم علاجه، ولكن عيسى عليه السلام - بإذن الله - يستطيع شفاء هذا الأبرص من مرضه، ويعود إليه جلده، كانت هذه المعجزة في زمن اشتهر فيه

الطب وتقدم، فكان من معجزات عيسى عليه السلام هذه المعجزة (إبراء الأكمه والأبرص) معجزة فيما لم يقدر عليه البشر حتى الآن، وكأي معجزة من معجزات الأنبياء، تبقى هذه المعجزة خالدة أبد الدهر، لا يقدر البشر على الإتيان بمثلها، وحتى لو قَدَّر للبشر معالجة الأكمه الذي ولد أعمى ولم يصب بداء فقدان بصره بأدوية يخترعونها، فلن يستطيعوا علاجه بمسحة من اليد على عينيه، فيقوم من لحظته مبصراً، وحتى لو قَدَّر للبشر معالجة الأبرص الذي ابيضَّ جلده بأدوية يخترعونها، فلن يستطيعوا أن يعالجوه بمسحة من اليد على جلده، فيقوم من لحظته مشفى معافى، وكان هاتين المعجزتين موجّهتان إلى أكثر الأمم نجاحاً في الطب، وهي الأمة التي كان فيها أكثر أتباعه. قال الله تعالى: (وَأَبْرَأُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ) [آل عمران: ٤٩]. وقال تعالى: (وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي) [المائدة: ١١٠] فقد كان عيسى عليه السلام يمسح بيده على الأكمه، وهو الذي لم ير النور منذ ولادته، فيعيد الله له بصره، ويزول عنه عماه، ويكون مبصراً قوياً البصر، وإبراء عيسى عليه السلام للأكمه والأبرص بإذن الله، دليل على نبوته، لأن الكمه والبرص لا علاج لهما من قبل الأطباء، لأنه لا يقدر طبيب على علاجهما، فكان علاج عيسى لهذين المرضين، وإبراء المرضين بدون علاج، وهو غير طبيب، دليل على أنه رسول الله، وأن الله أيده بهذه الآية والمعجزة.

٥- إحياء الموتى بإذن الله: قال تعالى: (وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ) [آل عمران: ٤٩]، وقال تعالى: (وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي) [المائدة: ١١]

إِنَّ إحياء عيسى عليه السلام الموتى هو بإذن الله جلت قدرته،  
والمحيي في الحقيقة هو الله العلي القدير، ولكن أجرى الإحياء على  
يد المسيح عليه السلام؛ ليكون ذلك برهان نبوته، ودليل رسالته.

وظاهر هذه الآفة الباهرة أن عيسى عليه السلام كان يمرُّ بالموتى فيدعو  
الله أن يحييهم، فيستجيب الله دعاءه ويحييهم، فيخرجون من  
قبورهم أحياء .

وإنَّ إحياء الموتى آفة بينة دالة على نبوة عيسى عليه السلام لأن البشر  
جميعاً لا يستطيعون إحياء ميت، فخرج الميت من قبره حياً بدعاء  
عيسى عليه السلام دليل على أن الله تعالى هو الذي أحياه وجعل حياته على  
يد عيسى عليه السلام ليكون ذلك آفة بينة على أنه رسول من عند الله.

إنَّ زمن عيسى قد سادهم إنكار الروح في أقوال بعضهم، وأفعال  
جميعهم، فجاء عليه السلام بمعجزة هي في ذاتها أمر خارق للعادة، مصدق  
لما يأتي به الرسول وهي في الوقت ذاته إعلان صادق للروح، وبرهان  
قاطع على وجودها .

لقد كانت معجزة عيسى عليه السلام من جنس دعايته، وتناسب  
أخص رسالته، وهو الدعوة إلى تربية الروح، والإيمان بالبعث  
والنشور، وأن هناك حياة أخرى يجازى فيها المحسن بإحسانه  
والمسيء بإساءته، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

٦- كليم الناس في المهد: أَيَّدَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ عِيسَى بِمُعْجَزَةِ التَّكَلُّمِ فِي  
الْمَهْدِ، أَي فِي الصَّغَرِ، وَذَلِكَ لِتَبْرِئَةِ أُمَّهِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْمُعْجَزَةُ  
عَلَى خِلَافِ الْعَادَةِ، إِذْ لَا يُمَكِّنُ لِلرَّضِيعِ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي رَضَاعِهِ عَادَةً.

٧- المائدة: قِصَّةُ هَذِهِ الْمَائِدَةِ أَنَّ سَيِّدَنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام أَمَرَ  
الْحَوَارِيِّينَ بِصِيَامِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا، فَلَمَّا أَتَمُّوْهَا سَأَلُوا عِيسَى عليه السلام أَنْزِلْ  
مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ لِيَأْكُلُوا مِنْهَا، وَلِتَطْمَئِنَّ بِذَلِكَ قُلُوبُهُمْ أَنَّ

اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ تَقَبَّلَ صِيَامَهُمْ، وَتَكُونُ لَهُمْ عِيدًا يُفْطِرُونَ عَلَيْهَا يَوْمَ فِطْرِهِمْ، وَتَكُونُ كَافِيَةً لِأَوْلِيهِمْ وَعَآخِرِهِمْ وَلِغَنِيَّتِهِمْ وَفَقِيرِهِمْ، وَلَكِنَّ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَظَّمُهُمْ فِي ذَلِكَ وَخَافَ عَلَيْهِمْ أَلَّا يَقُومُوا بِشُكْرِهَا، فَأَبَوْا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ لَهُمْ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَلَمَّا أَلْحُوا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ قَامَ إِلَى مُصَلَّاهُ وَلَبَسَ ثِيَابًا مِنْ شَعْرٍ وَأَطْرَقَ رَأْسَهُ وَأَسْبَلَ عَيْنَيْهِ بِالْبُكَاءِ ثُمَّ أَخَذَ يَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الدُّعَاءِ وَالسُّؤَالِ أَنْ يُجَابُوا إِلَى مَا طَلَبُوا، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دُعَاءَهُ، فَأَنْزَلَ سُبْحَانَهُ الْمَائِدَةَ مِنْ السَّمَاءِ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا وَهِيَ تَنحَدِرُ بَيْنَ غَمَامَتَيْنِ، وَجَعَلَتْ تَدْنُو قَلِيلًا قَلِيلًا وَكَلَّمَا دَنَتْ مِنْهُمْ يَسْأَلُ عَيْسَى الْمَسِيحُ عليه السلام أَنْ يَجْعَلَهَا اللَّهُ رَحْمَةً لَا نَقْمَةَ وَأَنْ يَجْعَلَهَا سَلَامًا وَبَرَكَاتٍ، فَلَمْ تَزَلْ تَدْنُو حَتَّى اسْتَقَرَّتْ بَيْنَ يَدَيْ عَيْسَى عليه السلام وَهِيَ مُعْطَاةٌ بِمَنْدِيلٍ، فَقَامَ عَيْسَى عليه السلام يَكْشِفُ عَنْهَا وَهُوَ يَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ خَيْرِ الرَّازِقِينَ»، فَإِذَا عَلَيْهَا مِنَ الطَّعَامِ سَبْعَةٌ مِنَ الْحَيْتَانِ وَسَبْعَةٌ أَرْغَفَةٍ، وَقِيلَ: كَانَ عَلَيْهَا خَلٌّ وَرُمَّانٌ وَثِمَارٌ، وَلَهَا رَائِحَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا.

ثُمَّ أَمَرَهُمْ نَبِيُّهُمْ عَيْسَى عليه السلام بِالْأَكْلِ مِنْهَا، فَقَالُوا لَهُ: لَا نَأْكُلُ حَتَّى نَأْكُلَ، فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَبْدُؤُوا بِالْأَكْلِ مِنْهَا أَمَرَ عليه السلام الْفُقَرَاءَ وَالْمَحَاوِجَ وَالْمَرَضَى وَأَصْحَابَ الْعَاهَاتِ وَكَانُوا قَرِيبًا مِنَ الْأَلْفِ وَثَلَاثِمِائَةٍ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْ هَذِهِ الْمَائِدَةِ، فَأَكَلُوا مِنْهَا فَبَرِيٌّ كُلُّ مَنْ بِهِ عَاهَةٌ أَوْ آفَةٌ أَوْ مَرَضٌ مُزْمَنٌ، وَاسْتَعْنَى الْفُقَرَاءُ وَصَارُوا أَغْنِيَاءَ، فَدَنِمَ النَّاسُ الَّذِينَ لَمْ يَأْكُلُوا مِنْهَا لِمَا رَأَوْا مِنْ إِصْلَاحِ حَالِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ أَكَلُوا، ثُمَّ صَعِدَتِ الْمَائِدَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا حَتَّى تَوَارَتْ عَنْ أَعْيُنِهِمْ، وَقِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْمَائِدَةَ كَانَتْ تَنْزِلُ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً فَيَأْكُلُ النَّاسُ مِنْهَا، فَيَأْكُلُ عَآخِرُهُمْ كَمَا يَأْكُلُ أَوْلُهُمْ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَةَ آلَافِ شَخْصٍ.

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَقْصُرَهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ  
وَالْمُحْتَاجِينَ دُونَ الْأَغْنِيَاءِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَتَكَلَّمَ  
مُنَافِقُوهُمْ فِي ذَلِكَ، فَرَفَعَتْ وَمَسَّخَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ مِنَ  
الْمُنَافِقِينَ خَنَازِيرَ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَنَاسَلُوا.

٨- إخبارهم بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم

مِن مَّعْجَزَاتِ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ يُخْبِرُ قَوْمَهُ بِمَا يَأْكُلُونَ  
وَيُخَبِّتُونَ مِنَ الطَّعَامِ فِي بُيُوتِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عِنْدَمَا أَحْيَا لَهُمُ الْمَوْتَى  
طَلَبُوا مِنْهُ آيَةً أُخْرَى، وَقَالُوا: أَخْبِرْنَا بِمَا نَأْكُلُ فِي بُيُوتِنَا وَمَا نَدَّخِرُ  
لِلْغَدِ، فَأَخْبَرَهُمْ، فَقَالَ: يَا فُلَانُ أَنْتَ أَكَلْتَ كَذَا وَكَذَا، وَأَنْتَ أَكَلْتَ كَذَا  
وَكَذَا وَادَّخَرْتَ كَذَا وَكَذَا.

## الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فهذه دراسة نقبت فيها في كتابات المفكر الإسلامي الكبير د. محمد عبده يماني، مستخرجا إشارات، وما من الله به عليه من إشراقات حول بعض معاني آيات القرآن الكريم، والتي غاص فيها مبرزا علاج القرآن لمشكلات المجتمع والنهوض به إلى أقوم طريق.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى أربعة فصول يندرج تحتها مجموعة من المباحث، كل فصل منها خصصته لمجموعة من القضايا والموضوعات المشتركة التي تناولها الراحل الكريم.

أسأل الله أن يرحم المفكر الكبير د. محمد عبده يماني، وأن يجعل جهاده في استخراج لآئ القرآن والسنة وتبسيطها للناس في موازين حسناته، وألا يحرمننا الأجر، وأن ينفع بهذا العمل، إنه على كل شيء قدير.

## فهرس البحث

رقم الصفحة	العنوان	م
٢	مقدمة قصص الأنبياء في القرآن الكريم	١
٥	الفصل الأول: قصة آدم <small>عليه السلام</small>	٢
٦	المبحث الأول: أول من سكن الأرض من المخلوقات	٣
١٠	المبحث الثاني: الحكمة من سؤال الملائكة عن علة خلق آدم <small>عليه السلام</small>	٤
١٩	المبحث الثالث: خلق آدم <small>عليه السلام</small> ومراحله	٥
٢٦	الفصل الثاني: قصة إدريس <small>عليه السلام</small>	٦
٢٧	المبحث الأول: نسب سيدنا إدريس <small>عليه السلام</small>	٧
٢٩	المبحث الثاني: إدريس <small>عليه السلام</small> عليه السلام نبي أم رسول؟	٨
٣٠	المبحث الثالث: سبب رفع إدريس <small>عليه السلام</small> والمراد منه	٩
٣٤	الفصل الثالث: قصة سيدنا إبراهيم <small>عليه السلام</small> ومناظراته	٦
٣٧	المبحث الأول: مناظرة إبراهيم <small>عليه السلام</small> لعبدة الكواكب	٧
٤١	المبحث الثاني: مناظرة إبراهيم <small>عليه السلام</small> لعبدة الأصنام	٨
٤٥	المبحث الثالث: مناظرة إبراهيم <small>عليه السلام</small> للنمرود بن كنعان	٩
٤٨	الفصل الرابع: من قصة إسماعيل <small>عليه السلام</small>	١٠

٤٩	المبحث الأول: مولد إسماعيل <small>عليه السلام</small> وصباه	١١
٥٣	المبحث الثاني: من فضائل إسماعيل <small>عليه السلام</small>	١٢
٥٥	المبحث الثالث: إبراهيم وإسماعيل يرفعان قواعد البيت	١٣
٥٧	المبحث الرابع: بيان من هو الذبيح؟ والرد على مزيفي الحقائق	١٤
٦٦	المبحث الخامس: قصة الذبيح عند المفسرين والمؤرخين، والحكمة منها	١٣
٧١	الفصل الخامس: قصة سيدنا عيسى <small>عليه السلام</small>	١٤
٧٢	المبحث الأول: معجزة الحمل بعيسى <small>عليه السلام</small> وولادته	١٥
٧٦	المبحث الثاني: نبوة عيسى <small>عليه السلام</small> ومعجزاته	١٦
٨٣	الخاتمة	٢٠
٨٤	الفهرس	٢١

د. إبراهيم محمد إبراهيم حسانين

مدرس التفسير وعلوم القرآن  
كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق - جامعة الأزهر  
٠٠٢٠١٠١٤٠٩٥٦٨٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ